قافلة الزيت

جمادى الاولى ١٣٨٧
اغسطس - سبتمبر ١٩٦٧



بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا العدد

صورة الغلاف

عمل دائب في معمل التكرير برأس تنورة

تصوير : امين



تصميم وطباعة مطابع المطوع

Designed and printed by Al-Mutawa Press, Dammam, Saudi Arabia

تفاعل صادق

اتصال ذو اتجاهين ..

هذا ما تطمح اليه كل صحيفة أو نشرة دورية . انها الى جانب اهتمامها بتقديم المادة المفيدة والممتعة الى قرائها تحب أن تعرف رأيهم فيما تقدمه اليهم ، لأن هذا يفسح المجال أمام المزيد من التحسين والتخطيط ويكون صلة أوثق بين المحرر والقارىء فتزداد الفائدة وتعم .

وقافلة الزيت تحرص كل الحرص على معرفة آراء قرائها والأخذ بمقترحاتهم . وارضاء لهذه الرغبة الملحة لم يكن في وسعنا أن نعتبر أن الرسائل التي يحملها الينا البريد يوميا كافية للتعبير عن رأي القراء جميعهم .. ولذا فقد قامت القافلة باجراء استفتاء استطلاعي شامل وزع مع عدد شوال ١٣٨٦ لمعرفة المزيد عن آراء الكتاب والأدباء والقراء عامة حول محتويات القافلة وطريقة توزيعها حاليا ، وما يمكن ادخاله من تحسينات عليها في مختلف المجالات . وبالاضافة الى ذلك تطرق الاستفتاء الى عدد الذين يقرؤون القافلة ومستويات أعمارهم وحقول أعمالهم . لأن مثل هذه المعلومات جميعا تؤثر في تخطيط الأعداد المقبلة وفي اختيار المواد التي تناسب جميع الأذواق والمستويات .

كانت نتائج الاستفتاء مرضية ومشجعة وخاصة لأسرة التحرير التي تضع نصب أعينها الفائدة العامة فوق كل اعتبار آخر . وقد جاء في نتائج هذا الاستفتاء أن حوالي ثمانية أشخاص يقرؤون النسخة الواحدة من قافلة الزيت ، وأن ٥٦ في المائة من القراء تتراوح أعمارهم بين الخامسة والعشرين والخامسة والأربعين ، وان ١٥ في المائة منهم تزيد أعمارهم على ذلك .

وجاء في نتائج الاستفتاء ايضا أن القافلة تنال استحسان السواد الأعظم من القراء بشكلها الحالي وتنويع مادتها.

كما تلقينا سيلا من المقترحات التي كانت موضع اهتمامنا والتي سنحاول أن نضع ما أمكننا منها قيد التنفيذ . وكان من أهم هذه المقترحات نشر سلسلة من الاستطلاعات المصورة عن مختلف مناطق المملكة العربية السعودية . وهذا اقتراح وجيه كان دائما محل اهتمامنا وقد بدأنا فعلا بتنفيذه ، وستظهر بوادره في الأعداد المقبلة ان شاء الله . كما ستظهر في القافلة سلسلة من المقابلات مع أدباء المملكة وكتابها ، وهذا الأمر وان كان ضمن مخطط القافلة فقد طلب في عدد من قسائم الاستفتاء .

وقد اقترح علينا البعض اعادة فتح عدد من الأبواب السابقة مثل رسائل المحرر والأسئلة الطبية وأخبار المجتمع . وهذه الأبواب جيدة فعلا ولكن لا يسعنا ادخالها في القافلة لعدة أسباب منها ان الرسائل أكثرها متشابهة ولا يمكن اخراجها قبل ثلاثة أشهر من تسلمها نتيجة للمدة التي تستغرقها طباعة القافلة . أما باب الأسئلة الطبية فقد وجدناه غير ملائم لعدم تمكن الطبيب من تشخيص المرض بشكل مرض من الوصف الوارد في الرسائل دون القيام بفحص المريض ، وكذلك باب أخبار المجتمع لأنه من ضمن محتويات القافلة الأسبوعية .

هذا بعض ما جاء في قسائم الاستفتاء أوجزته هنا شاكرا اخواننا القراء الذين ساهموا في الكتابة الينا على حسن اهتمامهم وجميل تقديرهم .

والقافلة تؤكد حرصها على أن يبقى اتصال القراء بها كاتصالها بهم متينا وثيقا ودائما .. اتصالا متبادلا ذا اتجاهين .

فؤاد الريس

قافلة الزيت العدد الخامس المجلد الخامس عشر

تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا

مديرها ورئيس تحريرها سيف الدين عاشور

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ - الظهران - المملكة العربية السعودية

مظاهر من أسس حياتنا الأدبية وطرائف من أدبنا المعاصر

بقلم الاستاذ فؤاد شاكر

ازدهرت الحياة الأدبية في بلادنا ، منذ اشراق العهد السعودي الزاهر .
ولا أقول هذا الكلام مجاملة لبلادي ونهضتها في تلك الحقبة ، ولكنه توقيت تاريخي ، أردت أن أسجل به حقيقة يعرفها جميع المعاصرين ، بلا استثناء ، ويحفظها ، ويعي تفاصيلها زملائي الذين رافقوا النهضة الأدبية منذ فجرها ، واصطحبوها في مطلع نورها ومطلع فجرها الصادق .

ومن آيات ذلك الازدهار ، ما حفلت به الصحف والمنتديات في تلك الأيام ، من روائع النثر والشعر في مختلف مجالات القول ، ومذاهب الكلام ودوافع الحديث المتتابع الذي جرى مجرى الندوات الأدبية المتحركة المتنقلة بين البيوت والمحافل العامة والخاصة . ولهذا فقد كنا نتساجل الشعر في مختلف الموضوعات حسبما تتفق الظروف ، وتمليه الملابسات والأحوال ، وهو لا يخرج عن المجال الاجتماعي والأدبي والسياسي ، أحيانا بما ينقل الحاضرين الى جو من الطرافة والامتاع ، يشيع البهجة والسرور بينهم ، ويجعلهم في جو دائم ممتع ، وهو كل تسليتهم البريئة الكريمة ، ونزهتهم الفكرية والأدبية ، في نفوس صافية تكاد تشع بمختلف ألوان السرور والبهجة والحبور .

أما « عكاظ » الأصيل الذي كان يعود اليه الفضل في تكوين الروح الأدبية والحياة الاجتماعية الاسلامية ، فقد كان يتجلى في موسم الحج من كل عام ، حيث تتجلى فيه « أسواق عكاظ » أو ما هو شبيه بها ، في احتفالات واجتماعات وندوات ومنتديات ، مع فارق بسيط ، هو أن أسواق عكاظ الحاضرة المعاصرة تقام وتتجلى في عدد من الأماكن والمنازل .

فقد سنّ جلالة الملك عبد العزيز — رحمه الله — سنّة حسنة ، سار عليها خلفه الفيصل العظيم ، هي اقامة مأدبة حجاج كبرى للحفاوة بحجاج بيت الله الحرام على اختلاف أجناسهم وألوانهم وبلادهم وتناول الطعام على موائد جلالته ، وليس مجرد الاجتماع وتناول الطعام هما هدف الاجتماع ، ولكن هناك من الأهداف السامية ما يتحقق من وراء هذا اللقاء الاسلامي والأخوي ، تتخلله موازين الأدب ، والشعر ، والنقد ، حيث يتبارى كبار حجاج بيت الله الحرام في انشاد الشعر بالقصائد ، والنثر بالخطب ، وكل ما فيها بليغ رائع هو صفوة البيان وسحره الحلال المبين .

لكان خطاب المغفور له جلالة الملك عبد العزيز هو مفتتح الحفل بعد القرآن الكريم وهناك شاعران متلازمان صديقان ، يحلق كلاهما في سماء الشعر والبيان بانشاء حولية موسمية تزخر بالمعاني الاسلامية والعربية ، وتحفل بالتوجيه السليم الذي يقتضيه المقام ، وتدعو اليه المناسبة . والشاعران هما الأستاذ احمد بن ابراهيم الغزاوي ، وكاتب هذه السطور ، وقد قال الأستاذ الغزاوي في ذلك الوقت البعيد ، يصف هذه الصداقة والأخوة والتلازم بين الشاعرين ، قصيدة هذه بعض أبياتها : —

حبذا يومنا اللطيف تنادى ... فيه بالحب ، « أحمد » و « فؤاد »
الصديقان لم يغيرهما الدهر ... ولم يجنح الهوى ، والوداد
بل هما الحافظان للعهد مهما ... شطح البين ، أو تمادى البعاد
كلما هلت المواسم بالحج وأنى ... أطرب الشعر ، وأنتشى الانشاد
الوفيان ، والقريبان شدوا ... وشعورا ، وحبذا الميعاد

وتترى أبيات القصيدة في هذه المعاني الأصيلة الجميلة . وبعد ذلك تتجلى مباراة الخطابة بالنثر والشعر ، في أداء واتزان وبيان ، منها ما هو بالعربي الفصيح ، ومنها ما هو بلغة بلد من بلاد الاسلام الشقيقة ، يترجمها على الفور مترجم مهيأ لهذه المهمة . وكنا نشهد في هذه الندوة الجامعة الرائعة اخوانا من فصحاء العالم الاسلامي ، ونستمع الى شدوهم وتغريدهم ومنهم أقطاب مصر وعلماؤها الأفذاذ ، سواء من رجال الأزهر أو من رجال الجامعات من وزراء وشيوخ ، ومنهم أقطاب من الجزيرة العربية وغير الجزيرة من الناطقين بالضاد . فكان «عكاظ» ماثلا بروحه ومظهره في ذلك المهرجان الأدبي المهيب الوقور .

وهناك ندوات واجتماعات ، ولقاءات أدبية أخرى ، في كل ركن وزاوية من زوايا مكة المكرمة وأرباضها ، يختلط فيها الشباب العربي السعودي فكان موسم الحج هو محورها ، وهو محفلها ومجمعها حيث يلتقي المسلمون وحيث تتبارى القرائح في تسجيل خواطرها بكل وسائل التعبير وسبله ، الأمر الذي أوجد لبنة صحيحة قوية في صرح أدبنا المعاصر في هذه المملكة العربية منذ أول تأسيسها .

ويحضرني من ذكريات تلك اللقاءات الأدبية التي كانت تتم عفوا أو عن سابق تخطيط ذكريات اجتماعات لنا في مناسبات في الطائف ومكة .

والذكريات ، ليست « صدى السنين الحاكي » كما يقول أحمد شوقي رحمه الله فحسب ، ولكنها المرآة التي تنعكس عليها أحداث العمر وحوادثه ، وآلامه وآماله ، وخواطر الانسان هي أسرع شاشة يستطيع أن يبصر عليها تلك الأحداث والحوادث ، وله أن يستدني منها ما يروقه من طيباتها ، وأن يستبعد منها ما يؤلمه أو يضايقه .

واستجابة لما طلبته مني هذه المجلة المحبوبة ، « قافلة الزيت » هاأنذا أستعرض على شاشة خواطري ما كان باسما متألقا من ذكرياتي الأدبية الطريفة ، وأنا سعيد حين أخلو الى تلك الخواطر ، فأستملي من الذاكرة ما يروق لي من ذكرياتها :

في مدينة الطائف ، وفي عام ١٣٦٠ هجرية الموافق ١٩٤٠ ميلادية ، كنا ثلاثة شعراء متجاورين — ذات صيف وفي مصيف — هم أصحاب السعادة أحمد بن ابراهيم الغزاوي ، والسيد عبيد مدني شاعر المدينة المنورة وعضو مجلس الشورى آنذاك ، وكاتب هذه السطور ، وفي يوم من أيام الدجن ، وصبوح داكن تحت سماوة رائعة من السحاب ، أغراني منظر الغيم ، وهو يحلق علينا ، باستدعاء جيراني ، وأصدقائي لننعم بصبوح يشتمل على كل معاني الجمال ، ويأتزر بألوان رقيقة من الحسن ، فكتبت الى أقرب الجارين الحبيبين ، الشيخ أحمد بن ابراهيم الغزاوي بهذين البيتين :

دعاك الينا الدجن ، فاصدع بأمره
ولبّ الينا ، عاجلا دعوة الدجن
لتشهد ماء المزن كيف انصبابه
وتشهد من « روشاننا » روعة المزن

وقد لبى الدعوة — عاجلا — وعندما حضر عندي ، كتب السيد عبيد مدني هذه الأبيات الجار الآخر :

رعى الله يوم الدجن كم بحلوله
أياد ، تفيض البشر ، من عارض الهتن
جمال أشاعته يد الفن رائعا
تقصّر عن تمثيله ، ريشة الفن
وزاد سنى ، وازداد لطفا ورقة
بأنكما في حسنه ، طلعة الحسن

وكتبت بعده هذه الأبيات تعليقا على ما تقدم :

أجل انه مزن من الغيث هاطل
يفيض علينا الخير ، بالجبن والسمن
ويعقبه في اللحم رخص ، وسمنة
وفي الروض عشب ناضر ، ضاحك السن
ومن يمنه أنا اجتمعنا ثلاثة
من الانس ، الا أننا صفوة الجن
تزلزل بالشعر الرصين رواسيا
فنجعلها في البيد ، طائرة العهن

وقد كتب الأستاذ أحمد بن ابراهيم الغزاوي ، تعليقا على ما تقدم هذه الأبيات :

لقد دلّني « وحي الفؤاد » بأنه
يعيد بما يبدي لنا نغمة البطن
فألا يكن ، بد فلا شك أنه
يعيد مناط الغور في كل ما يجني
وأحسب أنا حيث كنا ضيوفه
سنسمع تغريد « الطعام » بلا لحن

وعندما تطور الحديث وتفاقمت الأحداث ، الى توريطي في طعامهم واكتشفت مؤامرة الاستضافة عمدت الى حسن التخلص من هذه « الورطة » لا لسبب البخل — لا سمح الله — ولكن للحصول على ظفر الانتصار ، من غير فرار ، فعمدت الى احباط المؤامرة فكتبت لهما الرد التالي :

لعمر الذي قد أحسن الظن واهما
بنيل « طعام » ، انه أخيب الظن
ومن خير ما أقري به الضيف أنني
دعوت الهي ، أن يزحزحه عني
وها قد أجاب الله لي ، ما دعوته
فلما أنل منه ، ولما ينل مني

وبعد الشعور بلذة هذا الانتصار في مجال الأدب والشعر تعمدت الهزيمة في مجال الكرم وقدمت لهما الطعام عن رغبة وطواعية ، لا عن ارغام وكان ذلك في عام ١٣٦٠ هجرية — ١٩٤٠ ميلادية .

طرفة أدبية أخرى حدثت في ذلك التاريخ ، والشيء بالشيء يذكر . كما يقول المثل العربي ، كنا بالمصيف الجميل في الطائف ، وكنت أسكن في دار بالايجار ، ومالكها وصاحبها ومؤجرها لي ، هو الصديق الشيخ أحمد بن ابراهيم الغزاوي ، وكنا جارين — أيضا — نتبادل الزيارات ، ولا نكاد نفترق . وقد زارني ذات صباح ، وطرق الباب بعصاه صائحا ومنشدا :

أبا عزة اني على الباب واقف
فهل أنا مأذون ، وهل أنت آذن ؟

وتهللت لهذا الطارق الزائر ، بل الطائر المغرد ، وطربت لهذا البيت الرائع من الشعر ، الذي استأذن به الضيف وفتحت له كل أبواب الدار مسرورا طربا ، وقلت له : قبل أن تجلس يجب أن تستمع الى الاذن بالدخول — شعرا — وهذا هو :

بلى انها « الدار » الذي أنت ربها
وما أنا الا دونها لك سادن
فإن شئت فأمرنا ، نكن بعض أهلها
فليس بها الا « فؤادك » ، ساكن

وفهم الزائر العزيز ، وهو المالك للدار أنني أستعفيه من « دفع الايجار » فقال : لا بد من دفع الايجار — على سبيل الدعابة — وانتهت الزيارة بأن دفعت له ثلاثين جنيها ذهبا ، هي قيمة الايجار السنوي للدار ، ولم يفلح الشعر في تنزيل شيء من المبلغ . وتلك هي مثل من الصداقة وصفو الليالي ودعابات الأصدقاء .

ذبابة وفراشة

للشاعر احمد قنديل

تجافى الناس عن قبحي   كأن دمامتي ذنب
وانّ الحسن صنو القبح .. لم يخلقهما الربّ
فلا تقبلني عين   ولا يرحمني قلب
وينأى الناس عن دربي   اذا ما ضمّنا درب
كأني بينهم رجس   أو اني دونهم عيب
حبيسة عزلتي .. قد عشت .. لا حبّ .. ولا صبّ
أليس بهذه الدنيا   لِذي قبح بها أرب ؟
أليس بما جنوا يطغى   عَلى ايمانهم ريب ؟
أللحسناء .. والحلوة .. ما في كوننا نهب
أما لدميمة مثلي   مكان بينهم رحب
فما ذنبي أنا .. أو أنت   يا من صاغنا ربّ ؟

*

* *

ومن عجبي .. وللأقدار في ترتيبها عجب
رأيت ذبابة شنعاء .. تغشى غرفتي .. هربا
وكان الظل قد مال عن الدّوح
ذباب الحيّ طاردها   وأمست .. عنده .. طلبا
فجاءت دون معرفة   تؤانس وحدتي – نسبا
وتطلب أمنها عندي   ولا أدري لذا سببا
فحرّك جرحها .. جرحي
وآنس قبحها .. قبحي
تطنّ بمضجعي الخاوي   طنين الخائف الرّاجي
وتسعى بين أقدامي   وتلعب عند ادراجي
بلا خوف .. ولا ملل
ومن عجبي .. وللأقدار في ترتيبها عجب
رأيت فراشة حسناء .. تأتي .. بعدها عندي
وكان الفجر قد مهد للصّبح
ترف رفيف احساسي   وتشرب فضل أنفاسي
على قرب .. وفي مهل
فكانت فرحتي الكبرى   بها فرحا بدنياها
بدنيا الشعر في الحقل
غزير النبع .. والمتح   كريما دونما شح
فعاشت ساعة نشوى
تذيب العطر .. في قلبي   وتهدي مخدعي الأمنا
وعادت بعد ايماء   رقيق الحسّ والمعنى
تقود ذبابتي الحيرى   الى الروض .. على الدرب
وتمشي جنبها .. طربا   كصبّ .. هام في صب
كلحظك – رانيا نحوي   وصوتك هامسا جنبي
بدنيا الحلم في الدنيا
يعيش بشعره الشعرا   ويحيا الحب للحب
كهمسي .. في مداومة   جرت بالمدح .. لا القدح :
كذلك – يحتفي الشعراء .. أهل الحسن بالقبح





الحمام

بعض حديثه في الأدب العربي



بقلم الاستاذ محمود الشرقاوي

في كتب الأدب ، والسيرة ، والتاريخ ، والطب ، وأمثال العرب وقصصها ، والكتب التي تتحدّث عن الحياة والحيوان . وفي دواوين الشعر ، في كل ذلك نجد ذكرا وخبرا عن هذا الطائر الرقيق الجميل الوديع النافع : الحمام .

في اللغة

تطلق العرب على كل طائر ذي طوق اسم « الحمامة » ، ومن ذلك القمارى ، والفواخت و « ساق حر » ، والقطا ، والوراشين .

وفي « لسان العرب » أن ابن سيدة والكسائي يقولان : « الحمام هو الطير البرّي الذي لا يألف البيوت ، وهذه التي تكون في البيوت هي اليمام » .

وبعض أهل اللغة يتوسّع في اطلاق اسم الحمام على كل ما عبّ(١) وهدر .

واسم « الحمامة » يطلق على الذكر والأنثى ، وجمعها « حمام » و « حمامات » و « حمائم » ، وربما قالوا « حمام » للواحد .

وهو : وحشيّ ، وأهلي ، وبيوتي ، وطوراني(٢) ، وكل طائر يعرف بالزّواج ويحسن الصوت ، والهديل والدعاء والترجيع فهو حمام ، وان خالف بعضه بعضا في بعض الصوت واللون ، وفي بعض القدّ ولحن الهديل .

وكان العرب يشبّهون العينين بالحمامة ، فيقولون : « كأن عينيه حمامتان » ، أي مرآتان .

ويطلقون اسم الحمامة على المرأة لرقّتها وجمالها ووداعتها وطيبتها .

ويسمّون الرجال بالحمام ، وينسبون اليه ، من ذلك لقب « ذي الحمام » بن مالك الحميري . ويسمّون صوت الحمام وترجيعه : « الهديل » .

طبائعه وصفاته

وكانت للعرب معرفة جيدة بصفات الحمام وطبائعه ، يعرفون ما يخافه من الطير ، وأخوف ما يخافه الحمام من الطير « الشاهين » . يقولون فيه « انه يعتريه من الشاهين ما لا يعتريه من العقاب والبازيّ والصقر . » وأقوى أنواع الحمام وأشده بطشا ما كان أسود اللون .

ومن طبائعه التي عرفوها أن منه نوعا يعرف فراخه ويميّزها من غيرها ، فيطعمها ولا يطعم غيرها اذا اختلط بها ، وبعضه يطعم كل فرخ يدنو منه ، وبعضه لا يطعم فراخه حتى يموت . وهو يحضن بيض الدجاج .

وفي الحمام بعض طبائع « الأسرة الانسانية » ، فهو أيضا لا يخلو من قسوة ، يعتدي الذكر القويّ على الضعيف فينقر رأسه ، وقد يظل ينقرها حتى يموت الضعيف العاجز .

ونقل العرب عن أرسطو أن الحمام يعيش ثماني سنين . وكانوا يعرفون ما يحب من الطعام .

(١) عب : شرب نفسا نفسا حتى يرتوي ولا ينقر الماء نقرا . (٢) نسبة الى طور سيناء ، أو الى جبل يقال له « طرآن » .

قالوا انه يحب « الكمّون » والمكان الذي يوجد فيه ، وكذلك العدس ، ولا سيما اذا نقعا في عصير حلو ، ويحسن أن يدخّن بيته « بالعلك » فدخانه يصلح الحمام ويكثر نتاجه .

وعرفوا أمراضه : « الكباد » ، أي وجـع الكبد ، « والخنان » الذي يصيب حلوقها ، و « السّل » و « القمل » وعرفوا علاج هذه الأمــراض .

وعرفوا من طبائعه التعاون في تربية الأفراخ بين الذكر والأنثى . « فالولادة وعامّة الحضن والكفل على الأم ، فإذا ظهر الولد فعامّة الزّق على الأب ، كأنه صاحب العيال والكاسب عليهم وكأن الأم التي تلد وترضع » ، كما يقول الجاحظ في كتابه « الحيوان » .

وكانوا يميّزون بين الحمام واليمام — وهو كما عرفنا يسمى حماما أيضا — فيذكرون أن أسفل ذنب الحمامة ممّا يلي ظهرها فيه بياض ، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه : والطوق الذي يحيط بعنق الحمامة منه الأحمر والأخضر والأسود .

ومن طبائع الحمام أنه يعرف وكره ولو بعد عنه ألف فرسخ ، قيل عنه « ويحمل الأخبار ، ويأتي بها من البلاد في المدة القريبة ، وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد ، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج ، ثم هو على ثبات عقله وقوّة حفظه ونزوعه الى وطنه ، فيطير اليه . »

وكانوا يجدون طبائع مشتركة بين الانسان والحمام ، ونستطيع أن نقول : « فضائل مشتركة ». روى ابن قتيبة في عيون الأخبار عن المثنّى بن زهير أنه قال : « لم أر شيئا قط من رجل وامرأة الا وقد رأيته في الحمام ، رأيت حمامة لا تريد الا ذكرها ، وذكرا لا يريد الا أنثاه الا أن يهلك أحدهما أو يفقده ورأيت حمامة تتزين للذكر ساعة يريدها . والأنثى تحمل أربعة عشر يوما وتبيض بيضتين احداهما ذكر والثانية أنثى ، وبين الثانية والأولى يوم وليلة ، والذكر يجلس على البيض ويسخنّه جزءا من النهار ، والأنثى بقية النهار وكذلك في الليل ، واذا باضت الأنثى وأبت الدخول على بيضها لأمر ما أرغمها الذكر على الدخول ، وقد ألهم اذا خرجت فراخه من البيض أن يمضغ الذّكر ترابا مالحا ويطعمها اياه ليسهّل به سبيل المطعم . »

وقد سجّل العرب على الحمام من الصفات الطيّبة حتى البلاهة يقال : « ليس شيء أبله من الحمام ، وذلك أنك تأخذ فراخه من تحته فتذبحها ثم يعود الى مكانه ذلك فيفرخ فيه . »

ويقول العرب ان الحمام « أشدّ طيرانا من جميع سباع الطير ، الا في الهبوط . »

طائر معزز كريم

وكان للحمام في حياة العرب وتقديرهم مكان كريم واعزاز وتقدير .

ومن الكرامة الكبرى التي نجدها للحمام في الحياة العربية أن جعله الاسلام مما لا يجوز صيده في الحرم الشريف .

وروى المحدّثون أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر الى الحمام الأحمر ، وكان في بيته عليه السلام حمام أحمر ، يقال له « وردان » .

وقد كتب الجاحظ في كتابه « الحيوان » فصلا جميلا سماه : « مناقب الحمام » بيّن فيه شغف العرب به لما فيه من الفضائل والفوائد يقول : « .. ومن مناقب الحمام حبّه للناس ، وأنس الناس به ، وأنك لم تر حيوانا قط أعدل موضعا ، ولا أقصد مرتبة من الحمام ، وأسفل(٣) الناس لا يكون دون أن يتّخذها ، وأرفع الناس لا يكون فوق أن يتخذها . »

ويقول في نظافته وألفه وفوائده : « .. والحمام طائر ألوف ومحبّب ، موصوف بالنظافة حتى أن ذرقه لا نتن له .. والفلاحون يجدون فيه أكثر المنافع ، وهو يصلح في بعض وجوه الدّبغ » .

وكانت أهل الشام ومدنها وثغورها خاصة أحفل الناس وأكثرهم عناية باقتناء الحمام وتربيته ، يختزنون له الغلات الكثيرة والمؤن ، وينفقون فيها المال الكثير ، وتحمل السفن اليهم الجموع الكثيرة من الحمام ، فيفرّقون أو يجمعون بين ذكورها واناثها على حسب ما يعرفون في ذلك من المصلحــة .

ومن عناية العرب بالحمام واعزازهم له أنهم كانوا يستولدونه ، ويعرفون أطيب أعراقــه وفصائله ، فيزاوجون بعضها من بعض ، ويدوّنون لها أنسابا كما تعرف أنساب الخيل ، وتدوّن ، ويختارون منه السّلالات .

وقد بيعت حمامة واحدة من هذه السلالات المختارة بخمسمائة دينار ، وبيعت بيضة من بيضه بخمسة دنانير .

وكانوا يفيدون منه فوائد اقتصادية كثيرة ، قيل : « وتبنى من غلاّته وأثمان رقابه الدور الجياد ، وتبتاع الحوانيت المغلّة ، ويقوم الزوج منه مقام ضيعة ، وينهض بمؤونة العيال ، ويقضي الدّين »..

حمام البريد

وكانوا يعلّمون الحمام حمل البريد ، ويعرف « بالزّاجل » ويسمونــه « الهدّاء »(٤) أو « الهادي » . وأبرع الحمام في البريد ما كان لون ريشه أخضر أو أنمر(٥) . والأسود لا يجيء من البعد لسوء هدايته . والأبيض ضعيف ، وعلى قدر بياضه يكون ضعفه . وكلا الذكر والأنثى يصلح للبريد ، والذكر من الحمام هو الذي كان يستعمله أهل البصرة على حين يستعمل أهل بغداد الاناث .

فإذا أرسل الحمام بالليل استدلّ على الطريق « بالنجوم ، لأنّا رأيناه يلزم بطن الفرات أو بطن دجلة ، أو بطون الأودية التي مرّ بها ، وهو يرى ويبصر ويفهم انحدار الماء . فإذا لم يدر أمصعد هو أم منحدر ، تعرّف ذلك بالريح ، ومواضع قرص الشمس في السماء . »

الحمام الزاجل ، أو الزّجال ، هو الذي يعوّدونه الطيران برسالة ، يعلّقونها بعنقه أو ساقه الى حيث عوّدوه أن يطير .

هديله في الشعر والقصة والأمثال

وقد ألهم الحمام وهديله كثيرا من الشعراء معاني وأخيلة كثيرة ، وأكثر هذه الأخيلة ما يثيره هديلها من الحنين .

أما أبو العلاء فقد حيره هديل الحمام ، فلم يدر هل هو بكاء أم غناء ، فألقى سؤاله الحائر في بيته المشهور :

أبكت تلكم الحمامــة أم غنّـــ
ـــت على فرع غصنها الميّاد ..؟

ولكن أكثر الشعراء لا يحيّرهم صوت الحمام ، فهو يشعرهم بالحزن والأسى ، ويذكرون عند سماعه حالهم من الشوق والحنين الى الأهل

(٣) أقصرهم طولا . (٤) من الهداية ، أي الحمام الذي تعلم فصار مهتديا . (٥) ما كان فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

والوطن . ويتمنى بعضهم أن يكون مثل هذا الحمام ، ويتعجّب له ممّ يبكي . فهو بين أهله والفه ، وينهاه عن البكاء من غير سبب حتى لا يقع في مثل ما وقع فيه الشاعر ، فيقول :

ألا يا حمام الأيك الفك حاضر
وغصنك ميّاد ، ففيم تنوح ..؟
أفق .. لا تنح من غير شيء فانني
بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا ، فشطّت غربةً دار زينب
فها أنا أبكي والفؤاد جريح

وشبيهة بهذه قصة أبي فراس عندما أسر في بلاد الروم ، فسمع هديل حمامة ونواحها ، وهيّج هديلها نفسه فخاطبها يبثّ ألم نفسه ويتعجب مم تنوح وهي حرة طليقة . يقول :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة
أيا جارتا لو تعلمين بحالي
معاذ الهوى : ما ذقت طارقة النوى
ولا خطرت منك الهموم ببال
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا
تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي تري روحا لدي ضعيفة
تردّد في جسم يعذّب بال
أيضحك مأسور ، وتبكي طليقة
ويسكت محزون ، ويندب سالي ..؟
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة
ولكنّ دمعي في الحوادث غالي

ويجلس أبو نواس الى ظل خميلة كاسية ليس فيها فروج تدخل الشمس ، ويسمع بكاء الحمام كأنها في مأتم ، فقد فقدت ولدا أو زوجا أو عزيزا ، فيهيج من بكائها شوقه كما هاج شوق الحمام . كأنما قد استخفّها الطرب فيصف ذلك بقوله :

اذا ثنته الغصون جلّلني
فينان ما في أديمه جُوَب
تبيت في مأتم حمائمه
كما ترنّ الفواقد السّلُب
يهبّ شوقي وشوقهنّ معا
كأنما يستخفّنا طرب

ويقول مجنون ليلى ان الذّاهبين الى مواطن قبيلتها يهيجون لواعج شوقه . فإذا لم يلق منهم أحدا هاجت هذه اللواعج الحمائم ، التي تقع الى جواره وهن ، يتجاوبن بالبكاء والحنين وينحن من غير دموع :

ولو لم يهجني الرائحون لهاجني
حمائم ورق في الديار وقوع
تجاوبن فاستبكين من كان ذا هوى
نوائح لا تجرى لهنّ دموع

ويسمع نصيب ، مولى بني مروان ، حمامة على فنن تهتف في جنح الليل ، فيستيقظ من نومه ذاكرا أحبابه وأهله ، ثم يأخذ نفسه باللوم لأن الحمام قد سبقه بالحنين والبكاء :

لقد هتفت في جنح ليل حمامة
على فنن وهنا ، واني لنائم
فقلت ، اعتذارا عند ذاك ، وانني
لنفسي مما قد سمعت للائم :
كذبت ، وبيت الله ، لو كنت عاشقا
لما سبقتني بالبكاء الحمائم

وكما هيّج نوح الحمام أشجان أبي فراس في أسره وغربته ، هيّج نواحها عذاب « المعتمد ابن عبّاد » في سجنه حين مرّ به سرب من الحمام ، فأخذ يناجيه في شعر رائع ، ويصف له حاله ويغبطه على حريته وانطلاقه . وأن شمله ملموم وقلبه هادىء هانيء . يقول :

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي
سوارح لا سجن يعوق ولا كبل
ولم يك ، والله المعيذ ، حسادة
ولكن حنينا أن شكلي لها شكل
فأسرح : لا شملي صريع ، ولا الحشا
وجيع ، ولا عيناي يبكيهما ثكل
هنيئا الى أن لم يفرّق جميعها
ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل

ومن أرقّ وأجود ما أوحى به الحمام الى الشعراء هذا الذي قاله عبد الله بن الدّمينة النخعي عندما مرّ به صبا نجد فهاج منه وجدا على وجد ، وأخذ يسائله :

ألا يا صبا نجد : متى هجت من نجد
فقد هاج لي مسراك وجدا على وجد
أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى
على غصن غضّ النبات من الرّند(٦)
بكيت كما يبكي الوليد ، ولم تكن
جليدا ، وأبديت الذي لم تكن تبدى ..؟
وقد زعموا أن المحب اذا دنا
يملّ ، وأن النأي يشفي من الوجد
بكلّ تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع
اذا كان من تهواه ليس بذي ودّ

ومن أبرع الأوصاف التي شبه بها هديله قول « جران العود » :

واستقبلوا واديا صوت الحمام به
كأنه صوت « أنباط » مثاكيل

أما « جهم بن خلف المازني » فيصف حمامة تبكي في الفجر على ألفها ، فتستجيب لها حمائم أخرى حتى لكأنهن نسوة يندبن ميتا غاليا ، فيقول :

وقد هاج شوقي أن تغنّت حمامة
مطوّقة ورقاء تصدح في الفجر
هتوف تبكّي « ساق حرّ » ولن ترى
لها دمعة يوما على خدها تجرى
تغنّت بلحن فاستجابت لصوتها
نوائح بالأصياف في فنن السّدر
اذا فترت كرّت بلحن شج لها
يهيّج للصبّ الحزين جوى الصدر
دعتهن مطراب العشيّات والضحى
بصوت يهيج المستهام على الذكر
تجاوبن لحنا في الغصون كأنها
نوائح ميت يلتَدِمْنَ لدى قبر

ومن دلائل الحب والشفقة التي نعرف منها ما كان للحمام من الاعزاز عند العرب ، هذه القصة التي رواها « ياقوت الحموي » صاحب معجم البلدان في حديثه عن « باب الطاق » في بغداد – ويعرف بطاق أسماء – يقول : « ان عبد الله بن طاهر اجتاز هذا الباب فرأى حمامة تنوح ، فأمر بشرائها واطلاقها ، وكان صاحبها يحبّها ، أو كان نهّازا للفرص ، فطلب في ثمنها خمسمائة درهم ، واشتراها عبد الله وأطلقها ثم أنشد :

ناحت مطوّقة بباب الطاق
فجرت سوابق دمعي المهراق

وقد ألهمت مكرمة عبدالله بن طاهر في اطلاق هذه الحمامة شاعرا آخر هذا البيت الرقيق :

بي مثل ما بك يا حمامة فاسألي
من فكّ أسرك أن يحلّ وثاقي

ومن القصص المشهورة عن الحمام في الأدب العربي قصة « زرقاء اليمامة » التي تقول أنها كانت حديدة البصر حتى نظرت يوما الى السماء فرأت ، على بعد مسيرة ثلاثة أيام ، سربا من الحمام يطير في مضيق الجبل ،

(٦) الرند : من شجر البادية ، طيب الرائحة .

واستطاعت أن تعرف عدده ، وكانت لها حمامة واحدة فتمنت أن يكون لها هذا السرب كله وقالت ملغزة :

ليت الحمام ليـه الى حمـامتيـه
ونصفه قديـه(٧) تمّ القطاة ميـه

ثم طلبت الى الجالسين أن يعرفوا عدد السرب .

والرأفة بالحمام فطرة الرّحماء ، كما في قصة عبد الله بن طاهر ، ومثلها ما رواه « ابن خلّكان » عن المفسّر العظيم فخر الدين الرازي : « كان يلقـي دروسه ، فسقطت بالقرب منه حمامة خائفة ، كان يطاردها بعض الجوارح ، وعجزت عن القيام ، فلما قام الرازي من درسه ، وقف عليها ، ورق لها ، وأخذها بيده يحميها من البرد ، ويبعد عنها ما كانت تحسّه من الخوف ، وكان الشيخ « ابن عنين » حاضرا فأنشد على البديهة هذا الشعـر :

من نبّـأ الورقـاء أن محلّكم
حرم ، وأنك ملجأ للخائـف
وفدت عليك ، وقد تداني حتفها ،
فحبوتهـا ببقائهـا المستأنف
لو أنهـا تحبى بمـال لانثنت
من راحتيك بنائـل متضاعـف

وكان الشعراء يسمّون هديل الحمام غناء ، يقول بكر بن النّطاح :

اذا شئت غنّتنـي ببغـداد قينة
وان شئت غنّاني الحمام المطوّق

ويقول الفرزدق :

عجبت لها : أنّـا يكون غناؤها
فصيحا ولم تفغر بمنطقها فمـا
ولم أرَ محزونا لـه مثل صوتها
ولا عربيّـا شاقه صوت أعجما

ومن أجمل التشبيهات في وصف فرخ الحمام وهو يأكل قول « حميد بن ثور الهلالي » :

كأن عـلى أشداقه نور(٨) حنوة
اذا هو مدّ الجيد منـه ليطعما

وكان الشعراء يقولون ان هديل الحمام تجاوب بين ذكر وأنثاه ، فهو يدعوها ، وهي تجيبه وتردّ عليه نداءه :

وورقاء يدعوها الهديـل بسجعه
يجاوب ذاك السجع منهـا هديلها

وهم يسمون غناء الغلام هديلا أيضا ، كأنما صوت الحمام عندهم غناء محبّب كغناء الغلام ، كما جاء في شعر « ذي الرّمة » :

طوى البطن زيّام كأن سحيلـه
عليهن ، اذ ولّى ، هديل غـلام

وكذلك يقول « جران العود » يذكر صباه :

وذكّرني الصبا ، بعـد التنائـي
حمامـة أيكة تدعـو حمامـا

وحديث الشعراء عن هذا التجاوب بين ذكر الحمام وأنثاه ، له قصة موغلة في القدم عند العـرب .

يقولون في تلك القصة أن « هديلا » هذا كان زوجا لحمامة في سحيق العصور ، ثم مات عنها أو فقد ضل ، فحزنت عليه زوجه حزنا موجعا ، وظلّت تناديه بهذا الحنين والتوجيع والتوجّع حتى ماتت ، وتوارث عنها الحمام من بعدها هذا النداء الحزين .

وفي شعر « للكميت الأسدي »(٩) اشارة واضحة الى هذه القصة :

ويـوم اللّوى أبكاك نـوح حمامة
هتوف الضحى بالنّوح ظلت توجّع
فقلت : أتبكي ذات طوق تذكّرت
«هديلا» وقد أودى وما كان(١٠) تبّع
وأدري ولا أبكي وتبكي وما درت
بعولتها ، غير البكا ، كيف تصنع
ولـم ترَ ما تبكي وأتـرك مـا أرى
وتحفظ مـا تبَي لـه وأضيّـع

وقد أعجب أبو العلاء بالحمام وطوقه وجيده ، مع رقتّه وضعفه وسذاجته ، مما أثار حبّه له واشفاقه عليه فقال :

قل للحمامة : قـد أصبحْتِ شادية
فهجت للذاكر المحزوق تشويقـا
كساك ربّك ريشا تدفعين بـه
قـرّ الشتاء وحليّ الجيد تطويقـا

ثم يسأل الحمامة في اشفاق : هل تخاف على نفسها وأفراخها شرّ البازي ، وهو على مرتفع من الأرض يتربّص بها الشر ..؟ ويعزّيها عن ذلك بأن نبال الدهر وقسيّه لن تتركه ولن تترك أحدا ولا شيئا ، وأن وكرها خير من بيت يزينّه بالذهب والتزاويق غاو ظالم لنفسه :

فهل تراعين من بـاز على شرف
يهدى اليك عن الفرخين تعويقـا
أما ترين قسيّ الدهر وتّرهـا
رام مصيب أعـار النّبل تفويقـا
يغنيك وكرك عن بيت يزيّنـه
غـاو من القوم اذهابـا وتزويقا

وهديل الحمام الذي حيّر أبا العلاء فلم يستطع أن يعرف هل هو بكاء أم غناء ، يلهم الحزانى من الشعراء أرقّ الشعر وأجمله ، كهذا الشاعر الذي ينادي حمامـات الحمى أن يعدن ، كما ينادي صديقا حميما ، يكاد أن يبوح لهن بذات نفسه وشقوته فـي هذا الشعر الرقيق :

ألا يا حمامات الحمى : عـدن عودة
فـأنـي الـى أصواتكن حنـون
فعدن ، فلما عدن عدن لشقوتـي
وكـدت بأسراري لهـن أبـين
فلم ترَ عيني ، مثلهنّ ، حمائما
بكين فلم تـدمـع لهـنّ عيـون

ومن القصص التي وقعت وللحمام فيها ذكر وأثر ، تلك القصة التي نجدها في كتب السيرة والأدب والتاريخ عن شهيد يوم الطائف : « عبد الله بن أبي بكر » . فقد كان يحب زوجه « عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل » حبّا شديدا ، حتى شغل بها المغازي والجهاد ، فأمره أبوه أن يطلّقها ففعل . وظلّت نفسه متعلّقة بها ينازعه اليها حنين شديد . قال فيه هذا الشعر :

فلم أرَ مثلي طلّق اليـوم مثلها
ولا مثلها ، من غير جرم ، تطلّق
أعاتك : لا أنساك ما هبّت الصبى
ومـا نـاح قمرى الحمام المطوّق

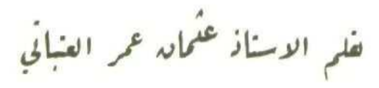
وسمع أبوه هذا الشعر فأمره بأن يراجعها . وعادت اليـه .

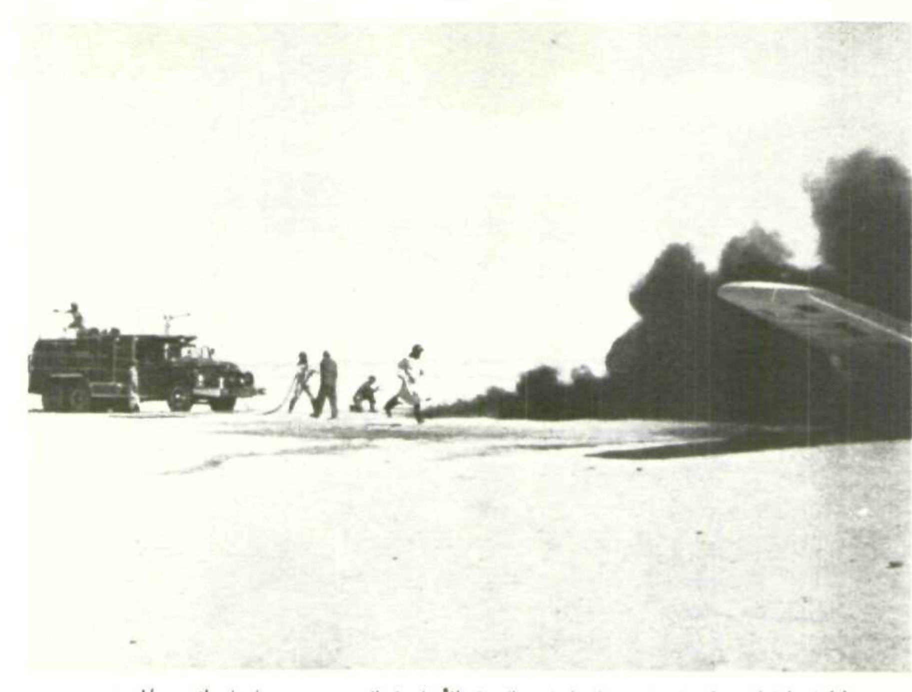
ودخل الحمام في أمثال العرب ، قالوا : آمن من حمام الحرم ، وآلف من حمام مكة . وقالوا تقلّدها طوق الحمامة ، كناية عن الخصلة الذميمة ، أي تقلدها كطوق الحمامة فهي لا تفارقه كما لا يفارق الطوق الحمامة . وقالوا : « أخرق من حمامة » لأنها لا تحكم عشّها : « ربّما جاءت الى غصن من الشجرة فتبني عليه عشّها في الموضع الذي تذهب به الريح فيكسر من بيضها أكثر مما يسلم » . في ذلك يقول « عبيد بن الأبرص » يعيب قوما بالخرق والعيّ :

عيّـوا بأمرهـم كمـا
عيت ببيضتهـا الحمامة
جعلت لها عودين مـن
نشم وآخر من ثمامة (١١)

(٧) قدية : فقط . (٨) النور : الزهر ، والحنو نبت سهلي طيب الرائحة يقال انه الريحان . (٩) ينسب أيضا لأبي وجزة ونصيب . (١٠) يعنى قبل أن يخلق تبع : لم يكن موجودا . (١١) النشم : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي ، والثمامة نبات قصير يضرب بـه المثل في الضعف ، فهي تجمع بين قوي وضعيف فينكسر عشها ويقع بيضها .

معهد التدريب الفني لشؤون الملاحة الجوية





اطفاء الحرائق واخمادها من الدراسات الفنية الأساسية التي يتدرب عليها طلاب المعهد .

درس عملي في كيفية استخدام المعدات الخاصة باطفاء الحرائق .

لقد درجت قافلة الزيت على اطلاع قرائها على مختلف نواحي التطور في مملكتنا الفنية ، ويسرنا اليوم أن نتحدث عن جانب آخر من جوانب النشاط الذي تشهده المملكة في حاضر أيامها ، وهذا الجانب الذي نعنيه هو معهد التدريب الفني لشؤون الملاحة الجوية ، وهو أحد الفروع التابعة للمديرية العامة للطيران المدني ، وقد أنشيء في جدة لكي يلبي حاجة ملحة لا غنى عنها لأمة تشق طريقها في مجال التقدم الحثيث .

ان هذا المعهد كما هو واضح من اسمه أحد المرافق المهمة في شؤون الطيران ، فان اتساع حركة الطيران في المملكة استدعى فتح العديد من المطارات ، وهذا بدوره ما كان له أن يتم لو لم يكن هنالك خبراء أكفاء يضطلعون بالعمل في مختلف النواحي التي تتطلب دراية فنية ، وهكذا فإن هذا المعهد قد أنشيء ليسد فراغا ملموسا وليهييء للمواطنين فرصا طيبة في هذا المجال التكنولوجي ، وهو مجال حيوي لـه أهميته البالغة .

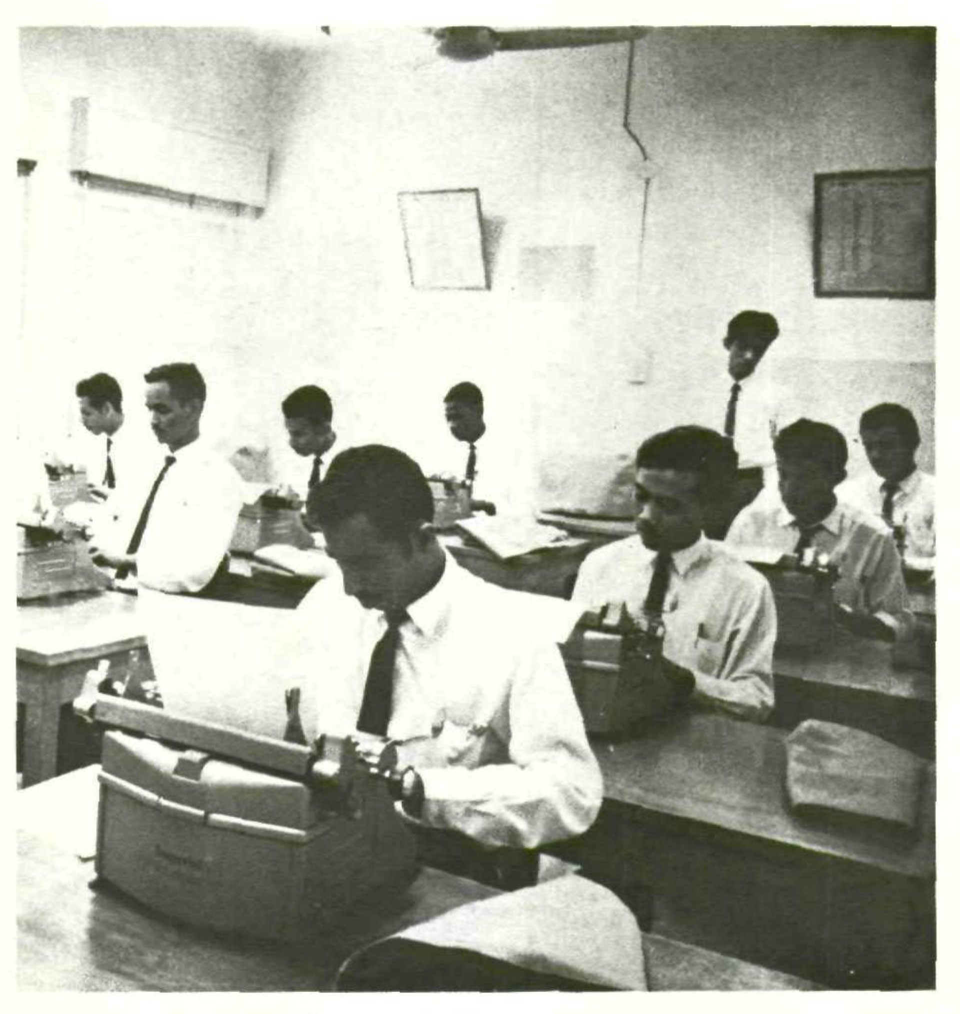
ويقع هذا المعهد في مطار جدة الدولي وفي بناء حديث التصميم ومكيف تكييفا شامـلا ويضم الفصول الدراسية والمختبرات للتدريب النظري والعلمي .

وقد تأسس المعهد في أواخر عام ١٣٨١ هـ (١٩٦١) وفتح بوابه للطلاب من أوائل عام ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢) وتشرف عليـه هيئة اداريّة تضم نخبة من موظفي المديرية العامـة للطيران المدني . وتتكون هيئـة الاشراف والادارة مـن السيد ناصر العساف مديـر المعهد ومساعده وموظفين في كل مكتب من الادارة ومراقبة شئون الطلبة ، أما هيئة التدريس فتضم نخبة من الخبراء التابعين للمنظمة الدولية للطيران المدني يقومون بتدريس المواد الفنية وتدريب الطلاب عمليا على الاجهزة والمعدات حسب برنامج شامل تشرف عليه المنظمة الدوليـة للطيران المدني .

ويضم المعهد قسما للغة الانكليزية لمساعدة الطلاب ، عند الالتحاق ، على تقوية معلوماتهم والاستزادة من هذه اللغة التي تعتبر ضرورية جدا للمنتسبين ، اذ أن جميع الدراسات بالمعهد تلقى باللغة الانكليزية — كما وتوجد أيضا مختبرات لكل قسم من الأقسام كصيانة الأجهزة الفنية ، والمراقبة ، والارصاد الجوية ، والاتصالات اللاسلكية ، وقسم الاطفاء والانقاذ ، وصيانة المبرقات الطابعة . كما يحتوي المعهد على مكتبة ثقافية ليستطيع الطلبة أن يتزودوا بالمعلومات الثقافية العامة في أوقات فراغهم . وكذلك يحتوي على صالة كبرى لمزاولة الألعاب الرياضية كلعبة البليياردو وكرة الطاولة وصالة عرض . وسيجري افتتاح بوفيه خاص للطلبه لتأمين حاجاتهم أثناء الفسحة الكبرى . وهناك فكرة تسعى ادارة المعهد في تنفيذها ألا وهي فتح أبواب المعهد عصر كل يوم لندوات ثقافية وعرض الأفلام الثقافية والترفيهية مقابل اشتراك رمزي .

تتلخص شروط الالتحاق بالمعهد في أن يكون الطالب سعودي الجنسية بالأصل والمولد وألا يقل عمره عند الالتحاق عن ١٨ عاما ولا يزيد على ٢٥ عاما ، وأن يكون سليم الجسم وأن يثبت الفحص الطبي لياقته البدنية ، وأن يكون حسن السيرة والسلوك ، وأن يكون حائزا على شهادة التوجيهي أو ما يعادلها ، أو شهادة من أحد المعاهد الفنية أو الصناعية تعادل التوجيهي أيضا ، ولكن عند الضرورة القصوى وفي حالة عدم توفر العدد اللازم من حملة المؤهلات المذكورة يقبل من يحمل شهادة الكفاءة أو ما يعادلها . وفي جميع الحالات على الطالب ، أن يجتاز بنجاح اختبار القبول . فاذا تم له النجاح في هذا الاختبار عليه انجاز الاجراءات الشكليـة للالتحاق وذلك خلال مدة لا تتجاوز الخمسة عشر يوما من ظهور النتيجة . وبعد اتمام الاجراءات يصدر قرار تعيينه رسميا ، ويتقاضى الطالب بعدها مكافأة شهرية قدرها أربعمائة ريـال .

ويتلقى الطالب يوميا ست حصص دراسية كل حصة مدتها ٤٥ دقيقة فيما عدا يوم الخميس من كل أسبوع ، إذ يخصص هذا اليوم للاختبارات الأسبوعية التي تجرى لكل فصل ، وتتخلل الحصص فترات راحة لمدة عشر



دراسة المبرقات الطابعة تعتمد على التدريب العلمي المتواصل على هذه الآلات الشبيهة بالآلات الكاتبة .

درس عملي في فرع خدمات المراقبة الجوية .

الطلاب يعيرون استاذهم أذانا صاغية أثناء قيامه بالشرح .

دقائق ، وبعد الحصة الرابعة يمنـــح الطلبة فترة راحة كبيرة لمدة نصف ساعة . ويتقيد المعهد بتوقيت المديرية العامة للطيران المدني ، الذي هو توقيت غرينتش + ٣ ساعات . كذلك يتقيد المعهد بالاجازات والعطل الرسمية للمملكة ، وتستمر الدراسة بالمعهد طوال السنة فيما عدا شهر رمضان المبارك الذي يعتبر اجازة رسمية للمعهد . ويلبس الطلبة زيا رسميا موحدا ليظهروا بالمظهر اللائق بهم . وتؤمن لهم المواصلات من منازلهم الى المعهد وبالعكس .

بعد صدور قرار قبول الطلبة بالمعهد يلتحق الطالب بأحد فصول اللغة الانكليزية لتقويته في هذه اللغة بصورة صحيحة وعلى أصول سليمة على أيدي مدرسين مختصين . ويقضي الطالب في هذه الدراسة تسعة أشهر حتى يصبح مؤهلا للالتحاق بالدراسات الفنية المختلفة . وقبل الالتحاق تعقد مقابلات شخصية للطلبة الذين سيختارون لهذا الغرض مع لجنة خاصة تتكون عادة من مدير المعهد ورئيس بعثة المنظمة الدولية للطيران المدني بالاشتراك مع خبراء التدريس بالمعهد ، وذلك لمعرفة مدى امكانية قبول الطالب في احدى هذه الدورات الفنية .

تتكون الدراسات الفنية من المواد التالية :

(١) صيانة الراديو : وهذه الدراسة تقوم على أساس دراسات نظرية وعملية لصيانة الراديو والأجهزة اللاسلكية والآلات الكهربائية الدقيقة ، وتستغرق مدة الدراسة سنتين ونصف وقد تمتد الى ثلاث سنوات .

(٢) خدمات المراقبة الجوية : وتشمل ضبط حركة الطائرات في الجو وفي ساحة المطار والاتصال بها قبل الهبوط وقبل الاقلاع ومتابعتها حتى خروجها من المنطقة التي يشرف عليها المطار مع اعطاء المعلومات الكافية الوافية لتأمين سلامتها . وتستغرق الدراسة سنة واحدة .

(٣) المبرقات الطابعة : وتتضمن دراسة وافية عن نظام الاتصالات اللاسلكية الدولية مع دراسة معلومات مبسطة في اشارة مورس . وتعتمد دراسة المبرقات الطابعة على التدريب العملي المستمر للطباعة على هذه الآلات التي تقوم بارسال البرقيات الخاصة بتأمين سلامة الطيران لكافة المطارات سواء كانت داخل المملكة أو خارجها ، وكذلك استقبال وارسال خطط الطيران وما الى ذلك . وتستغرق الدراسة تسعة أشهــر .

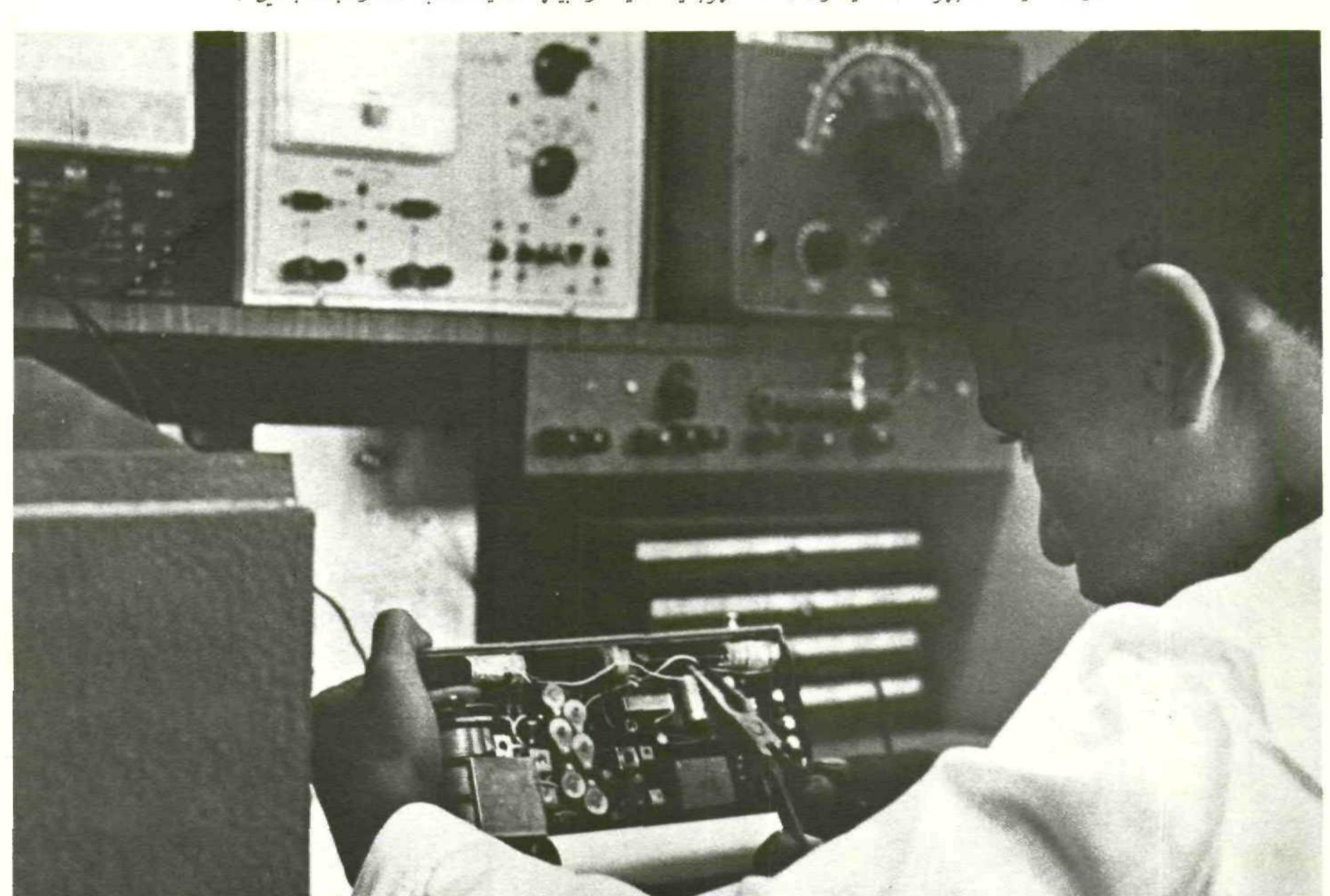
(٤) خدمات الارصاد الجوية (الانواء) : وتشتمل هذه الدراسة على رصد الاحوال الجوية وارسال النشرات الجوية الى الأقسام المختصة واعلام الطيارين عن حالة الطقس ومسار الرياح وما الى ذلك من خدمات . وتستغرق الدراسة لهذه المادة تسعة أشهر .

(٥) خدمات الاطفاء والانقاذ : وتقوم على أساس دراسة وافية وعملية مركزة لخدمة الاطفاء والانقاذ لتأمين سلامة الطائرات وركابها وانقاذها من الاخطار . وتستغرق الدراسة تسعة أشهر .

(٦) صيانة المبرقات الطابعة : وهـي دراسة عملية لصيانة أجهزة المبرقات الطابعة وتستغرق دراستها تسعة أشهر .

وبانقضاء المدة المحددة لكل دراسة يعقد اختبار نهائي للطلبة ، وبعد ظهور النتيجة تقوم ادارة المعهد بارسال الطلبة الناجحين المتخرجين الى الأقسام التي سيعملون بها ريثما تنتهي اجراءات تعيينهم كموظفين . وأما الشهادة التي يحملها الطالب المتخرج فهي عبارة عن « دبلوم فني » من المعهد معترف به دوليا ، ويمنح هذا الدبلوم تحت توقيع كل من المشرف العام لشئون الطيران المدني ورئيس بعثة المنظمة الدولية

دراسة صيانة الأجهزة اللاسلكية والآلات الكهربائية الدقيقة وتطبيقها عمليا تتطلب دقة وانتباها بالغين .

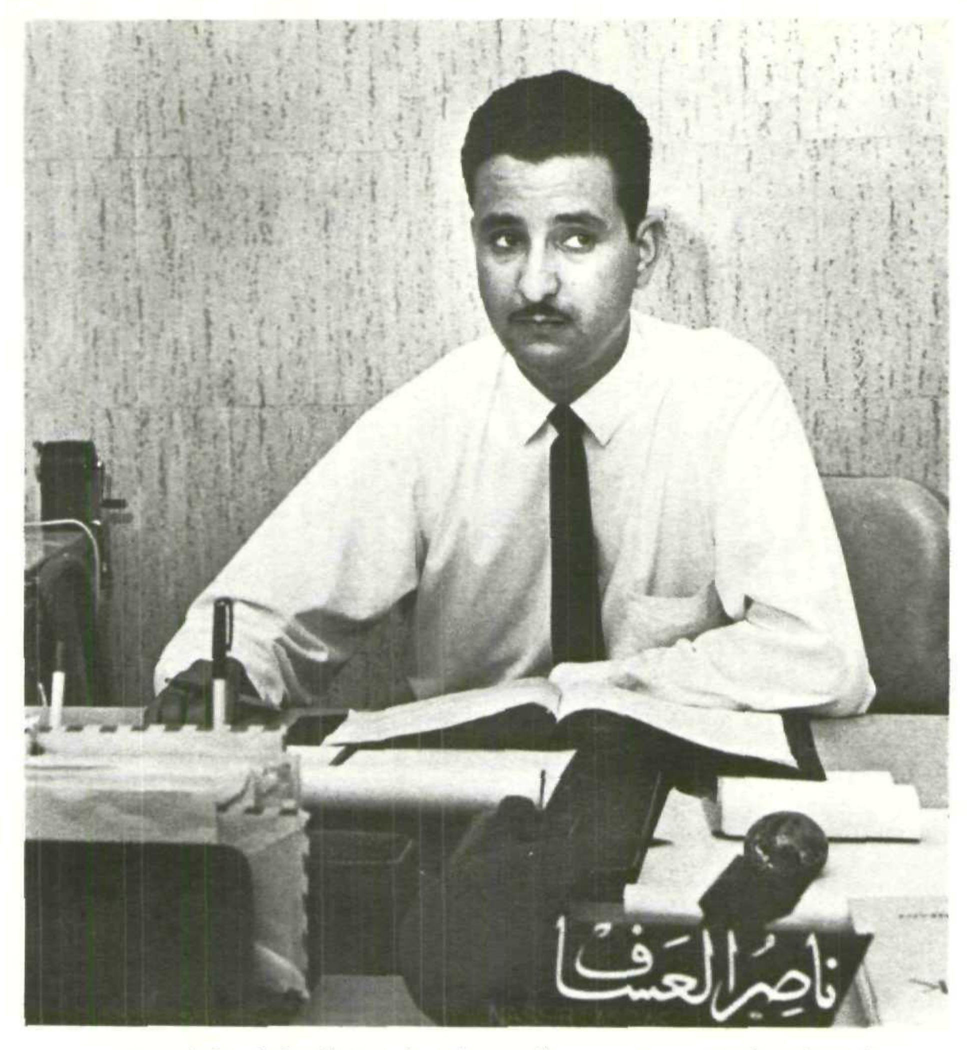


للطيران المدني . والطريقة المتبعة بعد التخرج هي أن تقوم المديرية العامة للطيران المدني بالاعلان في الصحف المحلية عن اجراء مسابقة لملء الوظائف التي تخلو في المطارات وغالبا ما يكون المتقدمون هم طلبة المعهد فقط لعدم وجود منافسين لهم نظرا لأن هذا المعهد هو الوحيد من نوعه في المملكة . وبعد نجاحهم في المسابقة يوزعون على مختلف المطارات في المملكة وحسبما تمليه المصلحة العامة السابق ذكرها .

ويجب على الطلبة قبول التخصص في أي نوع من الدراسات الفنية حسبما تمليه المصلحة العامة واحتياجات المديرية العامة للطيران المدني . وتبعا للظروف والاحوال التي تقررها المديرية حسب مستواهم العلمي واستعدادهم الشخصي بناء على تقارير هيئة التدريس بالمعهد .

وقد تخرجت من المعهد حتى كتابة هذه السطور ثلاث دفعات في مختلف الحقول الفنية ، عددهم ١٦٦ طالبا ، يعملون الآن جميعهم في المطارات المتفرقة بالمملكة وقد حلوا محل آخرين مستقدمين من الخارج . ويتراوح عدد الطلبة الذين يدرسون الآن بالمعهد بين ١٤٠ و ١٦٠ طالبا .

هذا وقد درج المعهد على اختيار طالب من المتفوقين في نهاية كل دورة ليقضي سنة بالمعهد للدراسة النظرية وسنة للتدريب العملي توطئة لابتعاثه الى الخارج للتخصص في تدريس احدى المواد التي تدرس بالمعهد ليحل محل أحد الخبراء المدرسين عند اكتمال مدته ، وعند كتابة هذه السطور كان في المعهد طالبان يهيئان للابتعاث الى الخارج .



السيد ناصر العساف ، مدير معهد التدريب الفني لشؤون الملاحة الجوية في جدة .



درس تطبيقي في رصد الأحوال الجوية .

تصوير : عبد اللطيف يوسف





الحياة فن وفلسفة

بقلم الانسة فائزة عبد المجيد

ان فن الحياة هو الى حد كبير ، فن الاهتداء الى السعادة والتفوق . وهو في الواقع فن دقيق رائع لا يخلق الجمال في النفس والأشياء فحسب ، بل يبعث فيها الشجاعة ، ويخلق البطولة في الفرد ليصمد ويقف تجاه الأحداث والصعاب التي تواجهه عبر دربه الجاهد . كما أن فلسفة عميقة أيضا تقوم على قواعد من الفهم والذكاء والايمان والتكيف مع الأوضاع . وتعتمد بوجه خاص على الطريقة التي ينتهجها الانسان لنفسه ، بأن يكون له في الحياة خط محدّد .. وهدف .

الغاية والهدف

فهذه الحياة التي يحياها الانسان ، اذا لم تحو غاية وتخطيطا وهدفا ، واذا لم يعرف أين يضع فيها أقدامه وأين يتجه ، فستصبح حتما — وهو يبدد فيها طاقاته في نواحي غير مهمة أو مثمرة — مليئة بالتعاسة والفشل ، ولن يجد نفسه أخيرا الا هدفا للقلق والضياع ، وقد رأى أن جهوده التي بذلها خلال عشرين أو ثلاثين عاما قد أهدرت عبثا ، بدل أن تتجه نحو مثل أعلى يتبلور الى نهاية وحقيقة ساطعة ، هي — النجاح والفوز !

مجد القوة والتفوق

في هذه الحياة الدائبة بلا توقف ، والتي ننشد فيها مجد القوة والنجاح والشهرة والتفوق ، لا بد لنا أن نعرف كيف ننفق أيامها بحكمة وذكاء وسعادة . وكما ان المال قد وجد لكي ننفقه ، فكذلك الحياة ، على أن ننفقها بالطريقة التي تسعدنا ، كما ينفق الغني الذكي أمواله . مع هذا ، فليس أمر الحياة ، كما يقول « أديسون » ، بهذه البساطة . فان على الانسان أن يضع لنفسه أساسا لحياته ، وأن يدخر من شبابه لكبره . وان الوقت الذي ينفقه في العمل والجد ، وما يتعرض له خلال ذلك من محن وتجارب ، ليس وقتا ضائعا ، أو خسائر دون تعويض ، بل ان هذا الوقت وهذه الخسائر انما هما كالمال المستثمر بحكمة وتعقل ، والدروس الثمينة التي لا تقدر بثمن ، والتي تزداد معها الفائدة فهما للحياة وربحا لمعركتها كلما مدّ الزمن .

الإنسان مطالب في جبهات ثلاث

كما ان الانسان هو ابن الحياة ، فهو كذلك ابن الظروف التي تحيط به والبيئة التي ينشأ فيها . وهو ، قد لا يدري أهمية هذه الظروف أو تلك البيئة في صنعه وتكوينه ، وسيطرتها على أفكاره ومشاعره ، وان عليه أن يكافح ويقاوم . وقد يجهل أيضا أنه في مسرته الكبرى ، عبر الحياة ، لا بد أن يقع في مشاكل وأخطاء يود هو في نفسه لو لم تكن . ولكن هذه الأخطاء ستكون هي معلمته وقائدة دربه . كما ان عليه أن يكافح لهذه الغاية على جبهات ثلاث : البيئة ، والناس ، ثم نفسه .

فقد يكتب للانسان أن يحيا في بيئة قاسية يغلب عليها الضيق والبؤس والجهل ، أو تخلو من الطمأنينة والحب ، أو أن يصاب بعلة ، مما يعرقل طموحه ، ويجعله في صراع دائم كي يتغلب عليها جميعا .

وقد تفرض عليه الظروف أيضا أن يعيش في وسط تطغى فيه نوازع الأنانية والحسد والكيد ، فيتحتم عليه اذ ذاك ، أن يحشد طاقاته لمقاومتها ، وأن يظل قويا صامدا في الميدان كي يدفع عن نفسه تلك الأخطار المدمرة لروحه وكيانه . وان يؤمن بأن لديه الطاقة والموهبة لكي يبني ويصنع لنفسه وللانسانية شيئا ، وان يستثمر طاقاته ، ويعلو فوق الأحداث بايمان المنتصر وكفاحه .

أما جبهته الثالثة ، فهي صراعه لنفسه لتظل قوية شامخة لا تهزم أمام كل هذه المتاعب والمشاق التي يتعرض لها من قسوة الظروف ، أو البيئة أو الناس .

ولا شك أن هذا يكلفه الكثير من صلابة الروح ، والثقة بالنفس وقوة الايمان والعزيمة . ولكن من حسن حظ الانسان ان وجد فيه عنصر المقاومة للوقوف تجاه أي خطر ، وهو العنصر الروحي الذي يمده بالقوة والثبات الذي يحول به الفشل الى نجاح ، والهزيمة الى انتصار .

أبعاد الحياة ومعانيها

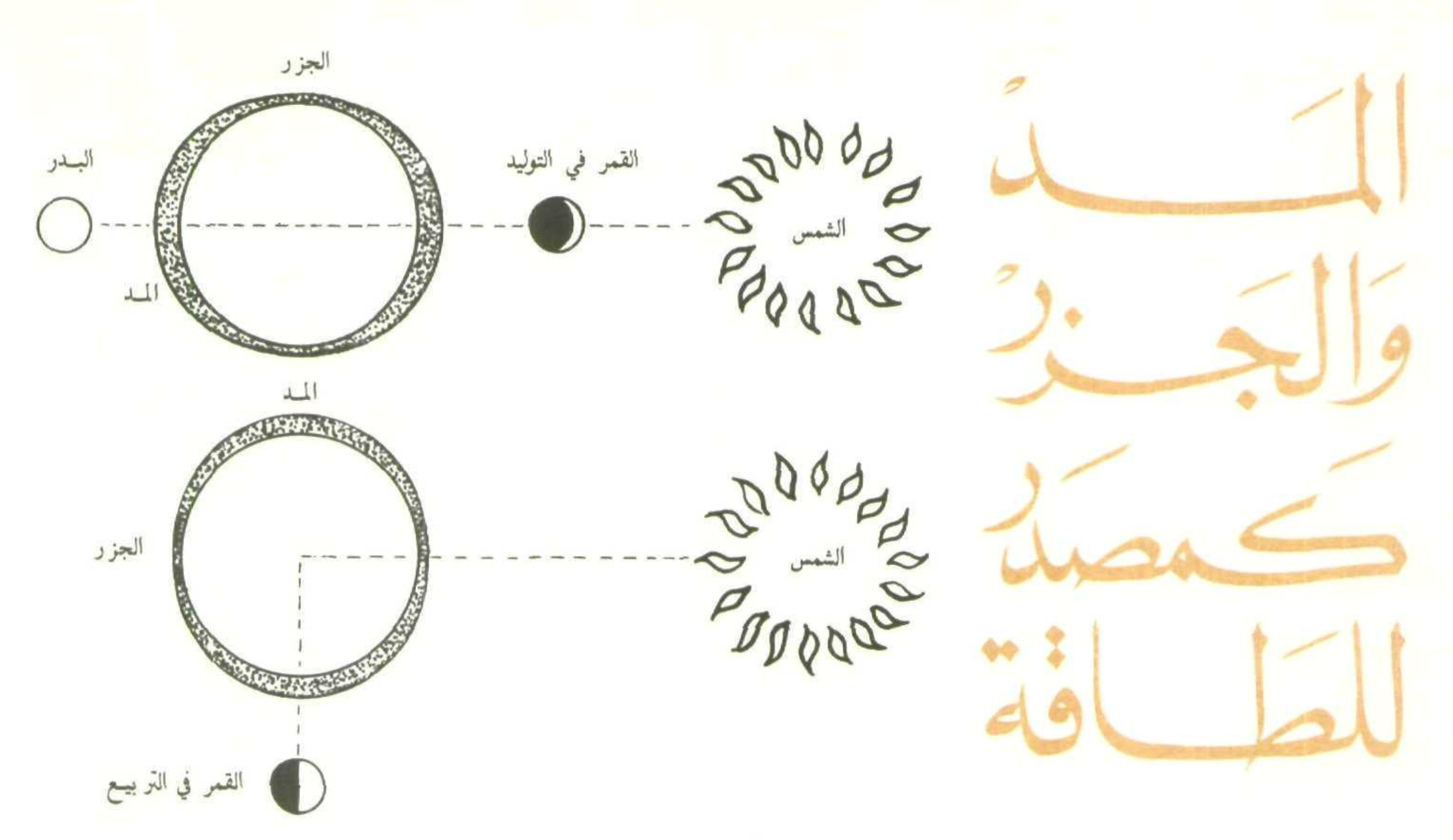
ولكن هل تكون أبعاد الحياة الظافرة للانسان هي الكفاح وتحديد الهدف فحسب ؟ كلا . فهناك أبعاد ومعان رفيعة أخرى ، كالحب ، والفن ، والثقافة ، والعمل ، والصحة والسعادة . وهي عناصر جوهرية لاشيء مثلها يربط الانسان بالحياة ، ويضفي عليها روحا وجمالا .

وما هو الحب في حياة الإنسان ؟

ان الحب هو بهجة الحياة ، فان كل بيت يخلو من الحب ، يخلو من الجمال والتطور والسعادة ، كما ان كل طفل يحرم من الحب

البقية على الصفحة (٤٩)

المد والجزر كمصدر للطاقة



بقلم الدكتور نقولا شاهين

المد هو ارتفاع ماء البحر واندفاعه نحو الشاطىء ، والجزر هو العكس ، أي ارتداد ماء البحر عن الشاطىء وهبوطه . وهذه الظاهرة تبدو جليا لمن يسكنون قرب الشاطئ . ويستفيد منها صيادو الأسماك والملاحون ، كما أنها أصبحت مصدر طاقة لبعض المطاحن العادية . وقوة لادارة مولدات كهربائية تعطي طاقة عظيمة .

أسباب المد والجزر

ان أسباب حدوث هذه الظاهرة تعود الى عدم تساوي جاذبية القمر والشمس لأجزاء مختلفة من الأرض . اذ أن النصف المتجه نحو القمر يجذب أكثر من النصف المقابل ، والماء على الجانب الأقرب يطيع تلك الجاذبية ، فيرتفع الى ذلك الجانب . أما الماء على الجانب الأبعد فإنه يجذب أقل من الأجزاء الجامدة تحته ، فيرتفع الماء في ذلك الجانب أيضا . ويحدث ذلك في أوقات معينة متساوية في الجهات المتقابلة من الأرض ، أي متى كان معظم المد في مكان يكون كذلك في الجهة المقابلة له من الأرض ، ويكون معظم الجزر على نصف البعد بينهما . أما الوقت بين مد ومد في أيام متتابعة فهو ٢٤ ساعة و ٥٠ دقيقة ، وهو الوقت الذي يحتاجه القمر كي يمر ثانية في خط الهاجرة لمكان ما .

وكما ذكرنا أن القمر هو العامل الأساسي في حدوث المد ، فعندما يكون على أقرب مسافة له من الأرض ، أي في الحضيض ، تصبح نسبة المد عشرين في المائة أعلى مما هي عليه ، عندما يكون على أبعد مسافة له عن الأرض ، أي في الأوج . وتدخل الشمس كعامل ثانوي في تمدد قطر الأرض المتجه نحوها ، متضامنة بذلك مع القمر ومعاكسة له أحيانا . لكن تأثيرها في هذا المجال لا يتعدى نصف ما يحدثه القمر . ومتى كان القمر والشمس مقترنين أو متقابلين ، يصبح فعل الجاذبية على خط واحد ، وعند التربيعين يكون خط جاذبية القمر عموديا على خط جاذبية الشمس ، لذلك يكون أعظم المد عند الاقتران أو التقابل ، أي كل شهر مرتين (بعد وقوع الاقتران او التقابل بست وثلاثين ساعة) . ومعلوم أن الاقتران يحدث في أول الشهر القمري عندما يكون القمر في التوليد ، وعندها تقع الشمس والقمر الى جهة واحدة من الأرض ، أما الاستقبال فيحدث في منتصف الشهر القمري عندما يكون القمر بدرا ، وعندها يكون القمر والشمس في جهتين مقابلتين للأرض .

وأثناء دورة الأرض على محورها ، يدور القمر حول الأرض في الاتجاه نفسه بسرعة أقل من سرعتها ، فيظهر موج المد وهو الجزء الأعلى من الماء . أما ما تحت ذلك فيتأخر في الخضوع لقوة الجاذبية ، كما أن حركة الماء في قعر البحر وعلى الشواطىء تزيد في تأخير الجاذبية فيه . لذلك لا يحدث المد في مكان ما ، الا بعد مرور القمر على خط الهاجرة ببضع ساعات ، وهذا يختلف باختلاف الأماكن والعوامل المحلية . وتختلف سرعة موج المد باختلاف مواقع البلدان الجغرافية . ولو غطى الماء كل سطح الأرض بالتساوي ، لكانت السرعة نحو ١٦٧٠ كيلومترا ونيف في الساعة . بيد أن سرعة مد الموج قلما تبلغ هذا المقدار ، فهي تبلغ نحو ١٠٧٠ كيلومترا في خط عرض ٦٠ جنوبا ، ونحو ١١٢٠ كيلومترا في المحيط الأطلنطي ، و ٨٠٠ كيلومتر بين الجزر الغربية وايرلندا ، بينما لا تتعدى سرعته في بعض الأماكن ٣٢٠ و ٩٦ و ٤٨ كيلومترا في الساعة .

كانت أمواج المد وما يرافقها من حركة أفقية في الماء عاملا مهما في تحركات البواخر لا سيما المراكب الشراعية في المرافىء الكثيرة الازدحام . فتجنبا للأخطار ، كان على البواخر أن تدخل المرفأ مع المد وتخرج منه مع الجزر ، كما هي الحال عند مدخل مرفأ نيويورك ، حيث تجتاز البواخر ممرا ضيقا بين الجزر . ولما كانت مجاري المياه الأفقية وما يرافقها من حركة عمودية ، ناتجة عن جاذبية القمر والشمس أصبحت هذه الظاهرة دورية منتظمة كالمد ، وصار بالامكان معرفة مواقيتها مقدما ، وهو أمر ضروري جدا في الملاحة .

ويختلف ارتفاع المد باختلاف المكان ، ففي وسط الأوقيانوس يبلغ الفرق في الارتفاع بين المد والجزر نحو ٧٥ سنتيمترا ، كما تبين من دراسات أجريت حول جزر منعزلة في المياه العميقة . أما أعلى مد فيحدث في خليج فوندي (Fundy) في نوفاسكوتيا (NovaScotta) حيث يصل ارتفاعه أحيانا الى نحو ٣٠ مترا ، لانحصار الماء في زاوية ضيقة . وفي بريستول داخل القناة الانكليزية يرتفع أحيانا الى نحو ١٥ مترا . وينسب العلماء ارتفاع المد في خليج فوندي الى التقاء الموج الكبير الجاري شمالا من الاوقيانوس الجنوبي ، بالموج الجاري جنوبا من الأوقيانوس الشمالي . أما البحيرات المحاطة بالبر فلا يحدث فيها مد وجزر يذكر .

وفي الأنهار ترتفع موجة المد بمعدل يتوقف على عمق الماء وكمية الاحتكاك وسرعة الجريان . وكثيرا ما ترتفع حتى تصادف شلالا ، عندما تصبح سرعة الجريان أعظم من سرعة الموجة ، وبذلك تضعف قوة الموجة بسرعة حيث يكون عمق الماء قليلا . وترتفع الموجة غالبا عند مدخل النهر ، فيصبح علوها في لابلاتا (Laplata) والأمازون نحو ٣١ مترا فوق سطح البحر على الأقل . أما سرعة موجة المد في الأنهار فقلما تزيد على ٣٢ كيلو مترا في الساعة .

وهنالك وثائق قديمة العهد تشير الى أن الانسان حاول منذ زمن بعيد أن يفسر ظاهرة المد ويبين أسبابها ، فالصينيون أعطوا سببين للمد ، الأول يستند الى أن الماء هو بمثابة الدم للأرض وأن المد هو نبضاته ، والثاني يعتبر المد أشبه بعملية التنفس للأرض . وهناك كاتب صيني عاش في القرن الرابع الميلادي حاول أن يبين أسباب المد الأعظم والأدنى اعتقادا منه بأن الفلك ينتقل شرقا ثم غربا كل شهر ، لذلك تعظم قيمة المد وتنقص بالتناوب .

وهناك رأي لزكريا القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» ، في حدوث المد والجزر . فهو ينسب ارتفاع الماء بحالة المد الى حرارة الشمس ، اذ أنها تلطف تركيب الماء ، فيمتد ويملأ فراغا أوسع مما كان يشغله قبلا ، ويدفع كل جزء من الماء الأجزاء الأخرى في خمس جهات ، شرقا وغربا وجنوبا وشمالا والى فوق ، فتهب رياح مختلفة على الشواطىء . أما ارتفاع الماء عند شروق القمر ، فسببه تلك الأشعة التي تنفذ في الماء ، وتنعكس على الصخور في قاع البحر ، فترتفع حرارة الماء ويحدث ذلك مادة رقيقة تحتل مكانا أوسع . وعندما يغيب القمر تعود حرارة الماء الى ما كانت عليه ، فيصبح كثيفا ويشغل فراغا أضيق . ومهما يكن من أمر هذه الآراء بالنسبة الى الحقائق العلمية المعروفة ، فإنها دليل على رغبة الانسان في تفهم ما يحيط به من ظواهر طبيعية ، بقدر ما يمتلك من امكانات فكرية ومادية .

لم يكتف الانسان بفهم أسباب المد والجزر ، وما يتولد من أمواج بسبب هذه الظاهرة ، بل ذهب يبحث عن طرق تمكنه من استخدامها في توليد طاقة يضعها تحت تصرفه في عالم الصناعة . وقد توصل الى ذلك على نطاق ضيق في السنين الغابرة ، وذلك بتوليد قوى ميكانيكية محدودة في عدد كبير من المراكز تقع عند مصبات الأنهار ، حيث يكون الوضع ملائما . أما اليوم فهناك مشروع تضطلع به الولايات المتحدة الأمريكية ، خصص له ألف مليون دولار ، لتوليد الكهرباء بواسطة قوى المد والجزر . وسيكون موقعه قرب الحدود الكندية في شمالي ولاية «نيو انجلند» . وعندما يتم انجاز هذا المشروع ، ستصبح الطاقة الكهربائية الناتجة عنه نحو مليون كيلو واط . هذه الطاقة تساهم مساهمة فعالة في سد متطلبات هذه الولاية والقسم الشمالي من ولاية نيويورك ، ومناطق كندا البحرية . أما الموعد المضروب لنهاية العمل فيه فهو عام ١٩٨٠ .

وليست هذه الفكرة حديثة العهد وانما تعود الى عام ١٩١٩ ، عندما اقترحها مهندس بارع اسمه دكستر كوبر ، بيد أنها في طي الاهمال حتى زمن حديث ، فوضعت التصاميم النهائية لها في عام ١٩٦٤ . والفكرة تعتمد على أن المد في خليج بساماكودي الواقع على الحدود بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ، بجوار خليج فوندي ، يصل الى علو معدله ١٧ مترا ، بينما يصل في الجهة الجنوبية الغربية من هذه البقعة ، الى علو معدله ٦ أمتار . فهذا الفرق في العلو بين مد وآخر هو أساس توليد الطاقة التي نحن بصددها . وعندما يعلو المد ، تفتح السدود بين خليج فوندي وخليج بساماكودي ، فيتألف خزان مساحته ١٠٠ ميل ميل مربع ، بعلو المد الذي أشرنا اليه سابقا . وعند الجزر تعود السدود الى أماكنها ذاتيا . أما في المنطقة السفلى ، فتعمل السدود ذاتيا عند الجزر لتفرغ منها الماء . وبين الخزانين الأعلى والأسفل ، وعلى الحد الفاصل بينهما ، يقع مركزان للتوليد ، يضم كل منهما خمسين طربينا ضخما ، وتدور هذه الطربينات عند فتح السدود بين الخزانين السالفي الذكر ، والمد يملأ الخزان الأعلى يوميا بصورة ذاتية . وتبلغ تكاليف الطاقة الكهربائية المتولدة منه ، أقل من التكاليف الحالية بنسبة مقدارها ٢٥ في المائة .

وليس هذا هو أول مشروع من نوعه في العالم يقوم على استخدام المد والجز في توليد الطاقة ، إذ أن هناك مشروعا آخر مماثلا يجري انجازه في شمالي فرنسا ، تبلغ طاقته نحو ٣٢٠٠٠٠ كيلو واط .

وبهذه المناسبة يجدر بي أن أذكر أنه قد تيسر لي أن أزور مدينة البصرة في العراق ، وأن أتعرف الى وضعها الفريد على شط العرب الذي يمتد من ملتقى نهري دجلة والفرات ، الى حوالي ١١٢ كيلو مترا نحو الجنوب ، والذي تمخر فيه البواخر الكبيرة ، ويصبح عرضه نحو ٣٥٠ مترا في بعض الأماكن . وعندما يرتفع الماء بسبب المد من الخليج العربي ، تفتح الحواجز التي تقام عند مدخل الجداول الفرعية ، فيندفع الماء بغزارة ، ويملأها الى مسافات بعيدة . ولدى حدوث الجزر تعود الحواجز الى مراكزها ، وهكذا تستمر العملية حسب الحاجة . أما الجداول فهي عريضة وطويلة ، بحيث تؤمن سير الزوارق الى مسافات بعيدة ، وبين بلدة وأخرى ، مما جعل البعض يصفون البصرة ببندقية الشرق .

نستدل مما سلف أن المد والجزر يؤلفان طاقة طبيعية متوفرة وبصورة متواصلة في أوقات معينة ، وأنها قد أصبحت هدف كثير من الأمم المتطورة ، والدراسات في هذا الحقل تزداد يوما بعد يوم ، على أمل الاستفادة من هذا المصدر الحيوي للطاقة في المستقبل .

المعاني الشاعريّة

بقلم الاستاذ محمود ابو الوفا

يذهبون في « المعاني الشاعرية » مذاهب لا يكادون يتفقون فيها على تعريف ، وانما استطاع بعضهم فيما زعم أن يجمل جميع ما قالوه فيها فقال « انها اصطلاح حديث لأسلوب أدبي أريد به مقابلة الأساليب البيانية المادية القائمة على المنفعة أو السيطرة ، أو ما يمكن تسميته بأساليب المعاني العقلية . وفي هذا الأسلوب يغلب استخدام الاستعارات الغريبة والتشابيه البعيدة والأضواء والظلال والمنطق المترنح خلف المجاز الحالم أو المجنح أو الهامس أو الرمزي . وعلى الجملة فهي تصوير الحقائق في أشكال أقرب الى الأحلام وأدنى الى التهويم ، ولا تبعد عن التخيلات والغيبيات والموهومات » . ويزيدنا صاحب هذا التعريف ايضاحا فيقول : وهذا مثل قولهم « الساعة التي لا تعد في الليل ولا في النهار » .

وأظن أن أقل ما يوجه الى هذه الأقوال هو كيف يقال عن أي أسلوب أنه أدبي بعد وصفه بأنه مباين أو مقابل للأساليب العقلية ؟ وهل يعد في الأساليب الأدبية مالا يشترط فيه العقل ؟ ولكن ما لنا والعقل بعد أن قال صاحب هذا الكلام في أسلوب هذه المعاني أنه يقرب من الأحلام أو أنه أدنى الى التهويم ولا يبعد عن التخيلات ؟ ثم أكد هذا كله بالمثال أو الشاهد الذي جاء به من مثل قولهم « الساعة التي لا تعد في الليل ولا في النهار » ؟

وهذا الكاتب ليس وحده . هناك أكثر من واحد تعرضوا لوصف هذه المعاني ومثلوا لها أو بها . وهذا أحدهم يصف أسلوبها أو يصفها فيقول « انها قسر الاضداد على التزاوج الاتحاد » . ثم يمثل لأسلوبها فيأتي بهذه والأمثلة :

« ان للصاعقة أنغاما » ، « وان الصوت من عصير الأحلام » ، « وان للنمل صهيلا وللحمير هديلا » الى آخره أو الى آخر ما قيل من هذا القبيل . ومع كل ما يظهر على هذه الأوصاف من الميل الى التشويه المقصود في المعاني وأسلوبها ، فإني أريد أن أذهب الى حسن الظن في هذه الأوصاف ، بل أذهب الى أكثر من هذا ، وأزعم أنه قد يكون لأصحابها بعض العذر فيما فهموه أو فيما جاءوا به من الشواهد والأمثال .

ان اليوم الذي ولد فيه القول بالمعاني الشاعرية كان في الواقع أول يوم أعلن فيه عن ميلاد أشد المذاهب الأدبية معارضة لجماعة المحافظين ، وما أعني بأصحاب هذا المذهب غير جماعة الغلاة من الابتداعيين . ولكن كيف كان مجرد خروج القول بالمعاني الشاعرية الى حيز الوجود مثيرا للمحافظين الى هذا الحد ؟ وأي ناحية من نواحيه أو مراميه هي التي أوقفته أمام كل هذه التحديات .؟

ان اضافة هذه المعاني الى الشاعرية ، هذه الاضافة الوصفية ، هي التي أوقفتها هذا الموقف . فإن تقييد المعاني بالشاعرية — وهي صفة وجدانية مطلقة — يعطي هذه المعاني ما لا حدّ له من الانطلاق الى المطلق أو غير المقيّد . ومنذ صار لها الحق في الانطلاق ، فإن هذا الانطلاق الذي ليس له حدود ، لن تكون له غير نتيجة واحدة هي حصول هذه المعاني الشاعرية على كل معاني الحرية والذهاب بها الى حيث تشاء .

ان هذا المفهوم وليس غيره ، هو الذي أثار المحافظين على هذه المعاني . كما أن هذا المفهوم نفسه هو الذي يجعل الانسان يلتمس العذر لهم ولكتّابهم ولأتباعهم ، خصوصا أمثال الكاتب الذي عرف المعاني الشاعرية بأنها « قسر الأضداد على التزاوج والاتحاد » . وبالله ، أي انسان يعطى له كل هذا الحق في الانطلاق على هواه وكل هذه الحرية فماذا يمنعه من قسر الأضداد وغير الأضداد . اذ أن له من الحرية المطلقة ما يجعله يذهب بالمعاني بل وبالألفاظ أيضا الى حيثما شاء . وما المانع من هذا ما دامت الحرية أمام هذه المعاني الشاعرية متسعة الى هذا المدى الذي ليس له حدود ولا سدود ؟ وهل نسينا بعضهم حين وصف أسلوبها آنفا فقال انه أقرب الى الأحلام وأدنى الى التهويم أو الى التخيلات ، الى آخر ما قاله ؟ ثم بعد هذا الايضاح ، ما الذي يمنع أحدنا من أن يقول : ولنفرض أن كل هذا صحيح ، وأن هذه المعاني أخذت حريتها في التعبير ما وسعتها هذه الحرية ، أو ما وسعتها ملكاتها التعبيرية . فما الذي يضير المحافظين ويجعلهم يثورون على هذه المواهب الابتداعية ويقيمون السدود في وجهها بهذه الكيفية العدائية ؟ هل نقول ان المحافظين يبغضون الحرية أو أنهم كما يقول خصومهم ، من عشاق القيود وأنصار الجمود ؟ ولكن هذا ما لم يقم عليه أي دليل ، بل على العكس من هذا تماما . ممكن أن يقوم ألف دليل ودليل على أن المحافظين ، وان كانوا اتباعيين حقيقة ، الا أن منهم كثيرين وكثيرين جدا كانوا أعلام الحرية وألويتها وسدنتها وحماتها . كما كانوا حراس الكلمة ورادتها والمعاني ونسبتها ليس في جيلنا فحسب ، وانما في جميع الأجيال من أواخر عهد الأمويين الى امرىء القيس والمهلهل صاعدا ، فنازلا من ابن أبي ربيعة الى ابن الوليد الى بشار وأبي تمام وأبي نواس الى ابن سناء الملك فالقاضي الفاضل الى ابن العميد وابن

المقفع وعبد الحميد وغيرهم ، حتى نصل الى عصرنا هذا . ان هؤلاء الشعراء والكتاب والمنشئين جميعا ، وان كانوا محافظين ، غير أنهم جميعا لم يكونوا إلاّ من طلائع الأحرار والمتحررين ، بل انهم جميعا ما كانوا الا من المجددين أو المتجددين . ان لفظة المحافظين أو الاتباعيين لا تعني مطلقا أنهم كانوا جامدين أو متجمدين . لقد كانوا كتّابا وشعراء أحرارا بكل ما تعنيه هذه الكلمة .

وانما كانوا مع هذا التحرر محافظين على الروابط البيئية والزمنية من عادات اقليمية أو عقائد دينية . ونستطيع أن نقول أيضا ومعاني عربية حتى لا يبعدوا كثيرا عن عقول أو مفاهيم وأساليب أوطانهم العربية وصلاتها الاجتماعية وجذورها التقليدية . قل انهم كانوا منطلقين مع منطقهم كل الانطلاق ، متحررين مع عقليتهم كل التحرر ، وانما هم في ذلك كله كانوا واقعيين ، وفي الحقيقة أنهم من حيث الحرية في ذاتها لا يصح مطلقا أن يكون بينهم وبين غيرهم من أتباع المذاهب الفكرية ، أي فرق الاّ في النسبة لا غير .

شيء آخر لا يصح أن ننساه في دوافع هؤلاء المحافظين وموقفهم من المعاني الشاعرية ، ذلك هو أن الشعر كان ديوان العرب . وقد لا يغيب عن بالك أنه من المتفق عليه عند جميع المحققين أن الشعر لم يكن ديوان العرب لأنه مجرد شعر أو مجرد فن كما هو عند جميع الأمم ، وانما كان الشعر ديوانهم لأنه عنوانهم الصادق الوصف ودستورهم الأمثل الجامع لكل ما فيهم من صفات الفتوة والنجدة والمروءة والكرم . فهو الحارس الواعي الأمين لجميع ما لهم من مفاخر ومكارم وقيم أخلاقية وصفات اجتماعية تواضع عليها مجتمعهم . فالشعر بهذا الوصف وبطبيعة العرب في نظرتهم هذه اليه ، لم يكن لسان حال شاعر بذاته وصفاته الفردية ، وانما كان الشاعر وشعره ومعانيه ، وهذا الثالوث كله ، ما هو إلا لسان الحال أو الصورة الصحيحة لمجتمعه العربي وقبائله . وهكذا لم يكن في وسع هذا الشاعر أن يعبر الا بالمعاني المتفقة مع عقائد قومه وعاداتهم وتقاليدهم . فإذا شذّ هذا الشاعر وانطلق مع حريته الخاصة ومشاعره الجامحة ، فلا مصير له حينذاك الاّ الطرد ، فأبو امرىء القيس مثلا حكم عليه بالطرد لفسوقه في معاني شعره ، ليس لمجرد الشعر وانما كان السبب هو جموحه وانطلاقه في التعبير بشعره ومعانيه بما لا يتفق مع تقاليد قومه وعاداتهم من الاعتدال وعدم الابتذال . فإذا قيل : ان هذا الاعتبار للشعر ومعانيه لم يعد له وجود ، لأن الشعر لم يعد ديوان العرب ، فقد يقال ان هذه حقيقة ، ولكن الحقيقة التي لا شك فيها أيضا هي أن الاعتبار المعنوي لهذا الديوان لم يزل باقيا الى حد كبير في كل قلب وفي كل وجدان . فإذا أصيب الديوان بالزلزال ، فما كان هذا الا في الحيطان والجدارن ، أما أساسه وروحه ، فانهما باقيان حتى الآن . وأحسب أنني هنا وصلت الى السبب الذي جعل العرب يقولون «المعاني الشعرية» لا«المعاني الشاعرية» فلا يحيدون عن هذه الاضافة ولا يقبلون غيرها مهما تغيرت الأحوال وتطاولت الأجيال . ان هذه الاضافة عندهم هي بمثابة اضافة هذه المعاني الشعرية كلها الى كل ما فيهم من كرامة وفتوة وقيم وأخلاق . وما هذه الا واحدة فقط مما كان علماء هذه الأمة وأدباؤها يلحظونه عندما وضعوا مصطلح « المعاني الشعرية » . وهذا المعنى بعينه هو الذي يجعل المحافظين يتمسكون بهذا المصطلح ويحافظون عليه . فإذا جاء في النصف الثاني من القرن العشرين من يقول : « المعاني الشاعرية » فقد يكون للمحافظين على التقاليد العربية عذرهم اذا لم يستقبلوا هذا التعبير الحديث بالترحاب ، أو اذا لم يفتحوا له جميع الأبواب . غير هذا أو بعد هذا كله ، فلا تزال للمحافظين رغبة في أن يقال : أي فرع من فروع الأدب والبيان قصرت المعاني الشعرية عن أدائه ؟ لقد وسع التعبير بهذه المعاني جميع فنون القول أو فنون الحياة مما كانت عندهم وجميع الفنون اللسانية أو البيانية . بل لقد جاءت في هذه الفنون جميعا من منثور ومنظوم ومرسل ومسجوع ، كما جاءت في الحكم والمواعظ والأمثال والأزجال ، وبالفصحى وبالعامية ، على حد سواء . بل ان لهم من قدامى ومحدثين في هذه المعاني الشعرية ما يستوي فيه النثر والشعر ، بل ما يتفق النثر مع الشعر في معانيه ، حتى لا يكاد يختلف عنه الا في أوزانه وقوافيه . والأمثلة والشواهد في هذه الأبواب جميعا أشهر من أن تذكر . وانما بعض ما يحضرنا منها الآن لا للتدليل ولكن لمجرد التمثيل .

فمن المأثور مما يستوي فيه النثر مع الشعر قول بعضهم في احدى رسائله « قلبك شهيد دعواي ، وضميرك سمير نجواي ، فصموتي اعراب ، واعراضي عنك اقبال على الثقة فيك لا اضراب » . وكذلك ما كتبه المتنبي يستعيد زيارة بعضهم ، وقد زار مريضا وهجره معافى ، فبعث اليه : « زرتني عليلا وهجرتني بليلا ، فإن أحببت أن لا تتجع الصحة علي وأن لا تحبب العلة الي فعلت » .

ليس ما يتفق فيه النثر مع الشعر فمن أمثلته في هذه المعاني الشعرية ما كتبه بعض الرؤساء في احدى رسائل التهديد والوعيد فقال : « ان شئت لقانا فالقنا في القنا ، وإن أسيافنا تشــرئب الى خواطر النفوس الظماء » .

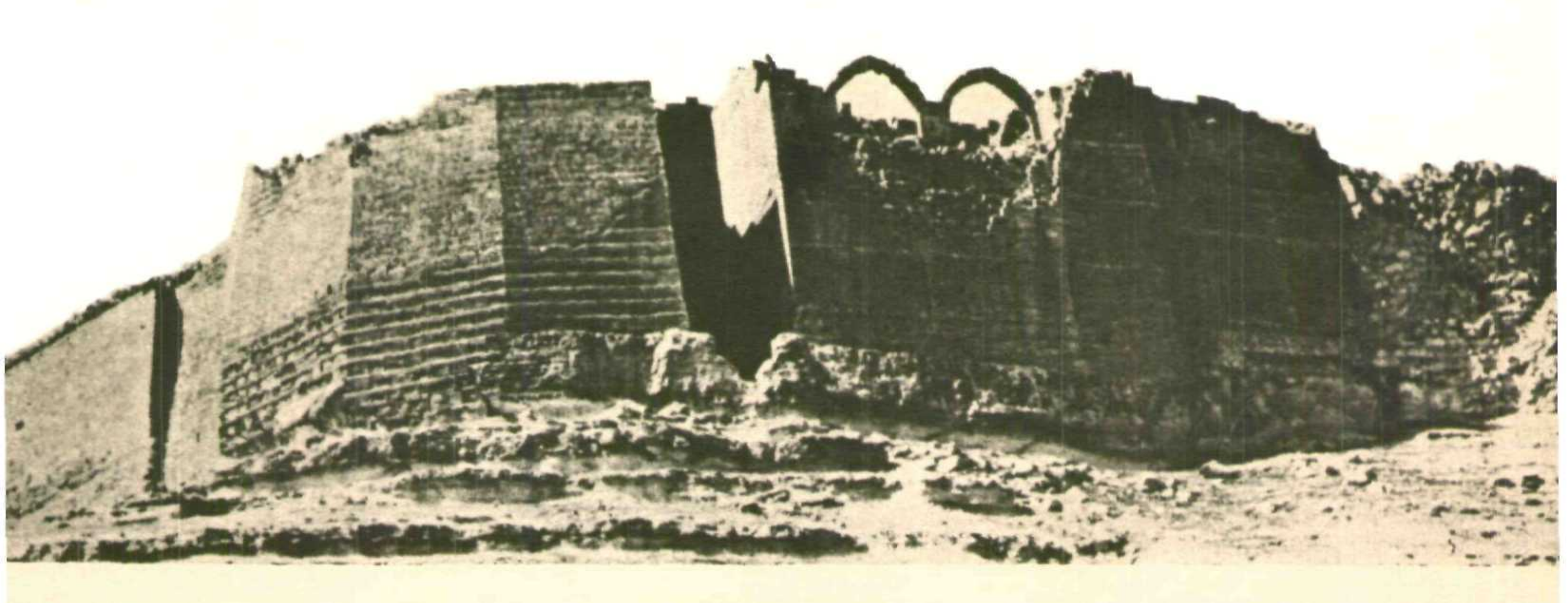
أمــا أمثلتها في المواعظ والحكم والمرسل والمسجوع ، فما أغنانا عن التمثيل لكثرة ما جاء فيه على الألسنة والأقلام في كل جيل ومن كل قبيل .

ومن أمثلتها في النثر المسجوع « أنعم على من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره » . كذلك من نماذجها الأدبية ما قاله بعضهم في مناجاة الله « كفاني عزا أن تكون لي ربا ، وكفاني فخرا أن أكون لك عبدا . أنت لي كما أحب ، فوفقني لما تحب . »

وما أحسبك تسألني عن نماذجها في الأمثال والأزجال والموال ، بالفصحى أو بالعامية ، فانها في جيلنا على كل لسان ، فلا حاجة للتمثيل بها للبيان أو للتبيان .

وأخيرا يقول المحافظون هذه نماذج عابرة من أساليب المعاني الشعرية للدراسات الأدبية فهل تستطيع المعاني الشاعرية أن تعطينا قريبا من هذه النماذج في أساليبها التجديدية ؟ هذا هو المفترق الذي جعل المحافظين على القول بالمعاني الشعرية واقفين جامدين حيال هذا المصطلح الجديد القائل بالمعاني الشاعريــة قديما ، فما بالك حديثا ، وقد صار علماء هذه الأمة وأدباؤها في هذا العصر بالذات متأكدين من أن هذه المصطلحات ذات الأبعاد الفنية والدلالات الفكرية لا يمكن أن تظهر أو تسود في الأوساط الأدبية إلا إذا كان وراءها رصيد من الحقائق الجوهرية ؟ قل في هذه الحقائق أنها فكرة فنية أو نظرة فلسفية أو دفعة تطورية ، لك ما شئت أن تقول فيها ، ولكن خلنا نأخذ الأمور من أقرب احتمالاتها ، ودعنا نؤكد أن أصحاب المعاني الشاعرية لا يريدون منها أكثر من الطلاقة الفنية والانطلاق في الحرية التعبيرية .

اطلال من الماضي تتمثل في الواجهة الشرقية لقلعة نجم المطلة على نهر الفرات .



الأيوبيّون وما ثرهم العمرانيّة

بقلم الاستاذ أكرم ساطع

يقول بروكلمان : كان العهد الأيوبي عهد بركة وازدهار في مصر وسورية حتى بعد وفاة صلاح الدين . أجل لقد اختصت مآثرهم العمرانية بنوعين من الأبنية : أبنية مدنية ، وأخرى عسكرية . وكانت جميعها تتميز بالمتانة والفخامة ، وهي تشبه المكعبات الضخمة ذات أحجار كبيرة ، توحي بالتقشف والرزانة .

أما الزخارف فانها اقتصرت على الأبواب الرئيسية والقبة وبعض الأجزاء المهمة ، كالمنبر والمحراب في الجوامع . وكثيرا ما كان الخط الكوفي أو النسخي يشكل عنصر زينة بالاضافة الى أنه مجال لكتابة آيات قرآنية وحكم وأشعار .

هذا ولم يقتصر تشييد الأبنية على عهد السلطان صلاح الدين وحده بل كان لأخيه العادل أبي بكر وولديه باع طويل في هذا المضمار وكذلك للظاهر غازي صاحب حلب ولابنه وأحفاده من الأيوبيين ولاتباعهم من أمراء وقواد وعتقاء وحتى لزوجاتهم أيضا ، لكل من هؤلاء بناء أو عدة أبنية تضم أروع فن الريازة العربية والهندسة المتقنة .

لا ريب أن وجود هذه المباني وانتشارها كان مبعثه العمل على سيادة المذهب السني من جهة ، ومقتضيات حروب الدولة المتواصلة من جهة أخرى كما أن الحركة الثقافية التي نشأت في هذه البلاد لم تكن في معزل عن الأحداث التي كانت تدور حولها ، لذلك شرع هؤلاء في بناء المدارس والجوامع والحصون والقلاع ، ارضاء لمطالبهم وخدمة لدينهم ولغتهم ، وذودا عن كيانهم .

ان تأسيس المدارس في عهد الظاهر غازي ابن يوسف بن أيوب قد بلغ أوجه في مدينة حلب حيث درّس فيها كبار العلماء والوافدون عليها من الأئمة . ولا غرو في ذلك ، فقد ذكر ابن خلكان عن صفات الظاهر غازي قوله : « انه كان محبا للعلماء ومجيزا للشعراء . »

ويحدثنا الملك المؤيد أبو الفداء حاكم حماه فيقول : « كانت مدة حكم الظاهر في حلب احدى وثلاثين سنة ، عمل خلالها على جمع البيت الصلاحي ، وقرب الفقهاء والقضاة فكان لهم في أيامه حرمة تامة ورعاية كبيرة . »

ومن المدارس التي أشادها المدرسة الظاهرية خارج السور حيث لا تزال أقسامها الرئيسية واضحة المعالم ، على الرغم من أن جانبا منها قد تهدم ، فالمصلى وأماكن التدريس وسكنى الطلاب والصحن والمدفن والأروقة والمطبخ . . الخ كل هذه العناصر لا تزال تشير الى الأسلوب المعماري الأيوبي الرصين بوضوح تعبيره وتقشفه . والمدرسة السلطانية داخل السور . ومدرسة الفردوس الذي جاء محرابها آية في الجمال ودقة الصنعة . وقد ريز على باب هذه الأخيرة : (أمر بانشائه

ضيفة خاتون(١) في أيام السلطان الملك الناصر ... الخ) وفيها ايوان مكتوب عليه : (لله در أقوام اذا جنّ عليهم الليل سمعت لهم أنين الخائف واذا أصبحوا رأيت عليهم تغير الوان :

اذا ما الليل أقبل كابدوه
ويسفر عنهم وهم ركوع
أطار الشوق نومهم فقاموا
وأهل الأرض في الدنيا خشوع

أجسادهم تصبر على التعبد ، وأقدامهم ليلها مقيمة على التهجد ، لا يرد لهم صوت ولا دعا، تراهم في ليلهم ركعا قد ناداهم المنادي وأطربهم الشادي :

يا رجال الليل جدوا
رب صوت لا يرد
ما يقوم الليل الا
من له حزم وجد

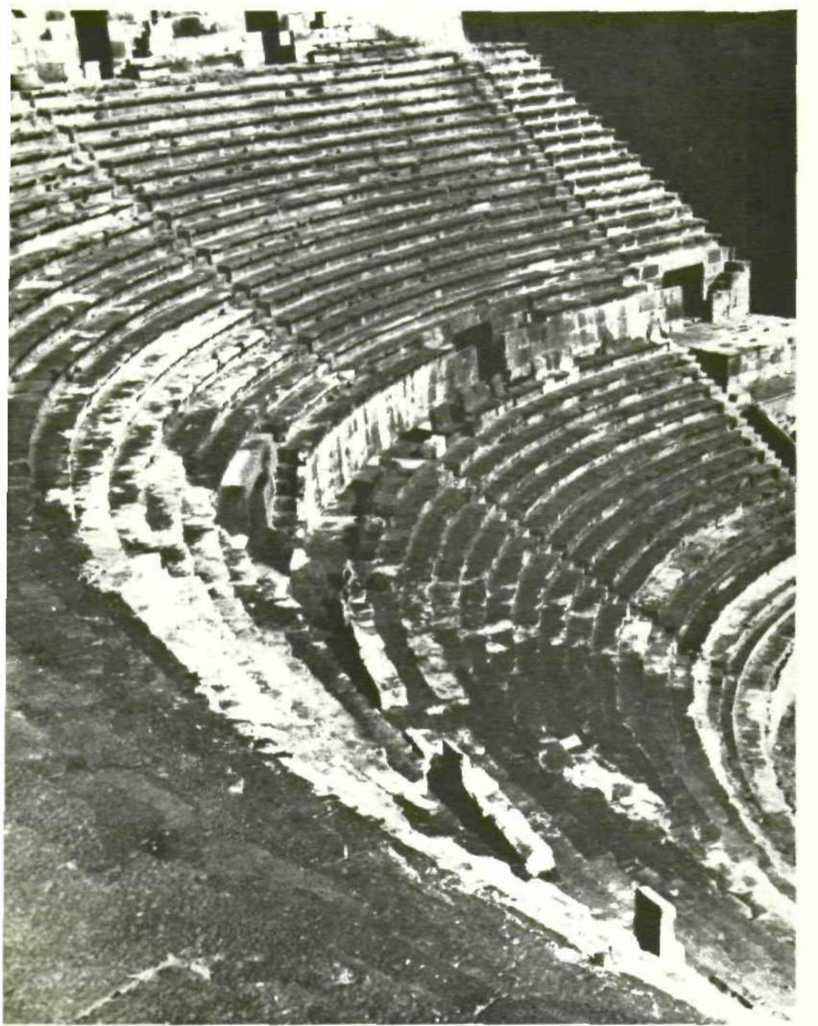
هذا ونجد كثيرا من منشآت قلعة حلب الشهيرة ، وأقساما هامة من سور المدينة وأهمها باب النصر الذي بني وشيد في عهده . واذا تطلعنا الى الفرات منطلقين من بلدة منبج شرقا فاننا نشاهد هناك قلعة ضخمة رابضة فوق مرتفع مشرفة على النهر تسمى بقلعة نجم والتي كانت تسمى عند العرب بجسر منبج فإن معظم منشآتها من عهد الظاهر غازي ، ويقال أن في القلعة نفقا يوصل الى ضفة النهر الثانية .

وفي دمشق تكثر الأبنية الأيوبية ، المدنية منها والعسكرية حيث نشاهد بناء المدرسة العادلية(٢) وقد بناها الملك العادل سيف الدين أخو صلاح الدين . وتمتاز هذه ببوابتها الفخمة المزينة بالمقرنصات . كما نجد أيضا جامع التوبة الذي بناه الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل . ومن الأبنية العسكرية الهامة في زمن الملك الناصر صلاح الدين باب النصر(٣) في السور . كما أضاف الملك الصالح نجم الدين أيوب برجا مربعا في الزاوية الشمالية الشرقية منه .

ولا بد من أن نشير إلى قلعة دمشق الشهيرة حيث تقع في الزاوية الشمالية الغربية لسور المدينة ، وهي نموذج ممتاز لفن الريازة العسكرية الأيوبية . كما أنها القلعة الوحيدة في سورية التي بنيت على مستوى أرض المدينة . وقد ظلت من أحسن القلاع الأيوبية من الناحية العمرانية رغم مرور سبعة قرون ونصف على بنائها . في حين لم يبق من قلعة حلب الا النزر اليسير من منشآتها . وقد قام الملك العادل باعادة بنائها وألزم كل واحد من ملوك أهل بيته بعمارة برج من أبراجها فدام العمل فيها اثني عشر عاما وتجاوز حدودها القديمة حتى أصبحت بمثابة حي ملكي تضم القصر وبيوت الأعوان وقاعة



مدخل المدرسة العادلية التي بناها الملك العادل سيف الدين ، وقد أصبحت اليوم مقر المجمع العلمي العربي بدمشق .



المدرج الروماني في بصرى الشام حاملا فوقه القلعة الأيوبية .

---

(١) ضيفة خاتون هي زوجة الظاهر غازي صاحب حلب . (٢) مقر المجمع العلمي في الوقت الحاضر . (٣) وقد أزيل عند أحداث سوق الحميدية في عهد عبد الحميد السلطان العثماني



جانب آخر من ملحقات المدرج الروماني بأبوابه ونوافذه الهلالية .

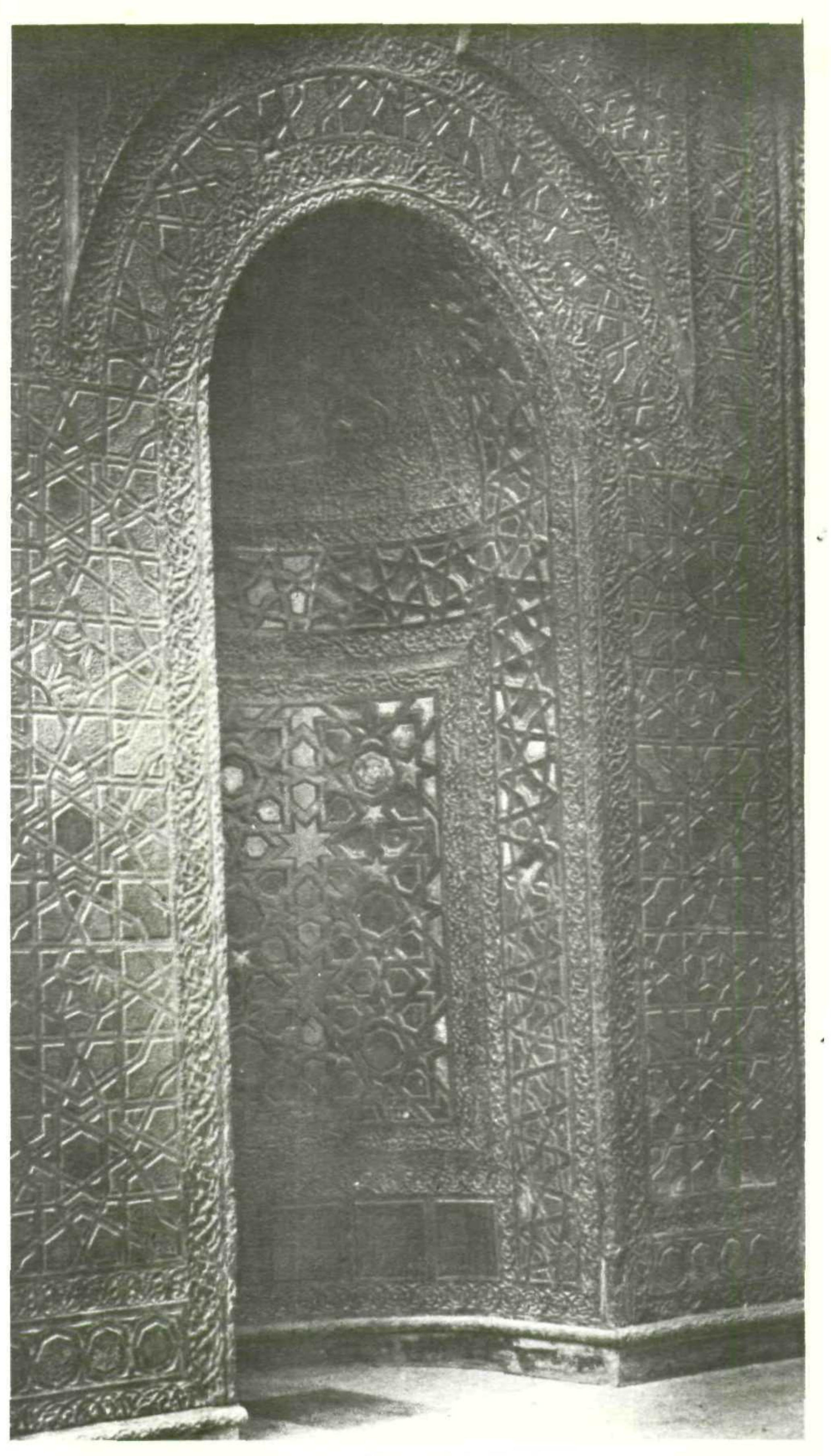
العرش ومراكز الادارة المدنية والعسكرية ودارا لصك النقود ومصنعا للسلاح وسجنا وسوقا وحماما وعدة مساجد .

واذا اتجهنا الى بُصرى(٤) فإننا نشاهد هناك أيضا بصمات الأيوبيين حيث أنشأ هؤلاء قلعة هامة حول المدرج الروماني الشهير . وكان خط القلعة من المنشآت الدفاعية الجديدة التي أقامها الملك العادل أبو بكر بن أيوب الذي آلى على نفسة المحافظة على نتائج انتصارات أخيه السلطان صلاح الدين والدفاع عن مملكته المترامية الأطراف ، وتدعيم مقاومة بُصرى التي أصبحت محطة كبرى على الطريق الموصل الى بلاد النيل وعلى طريق الحـــج .

أما مدينة صلخد(٥) فـــانها مشهورة بقلعتها الحصينة الرابضة فوق رابيتها المشرفة على السفوح الجنوبية وهي تعود أيضا الى العهد الأيوبي . وفي المنطقة الساحلية عدد من التحصينات الأيوبية ، منها قلعة المرقب وقلعة صلاح الدين وقلعة برزيـــة .

أما في مصر فلم يترك الأيوبيون مساجد ذات قيمة تاريخية تذكر ، انما حصروا همهم في بناء المدارس والحصون العسكرية . فالقلعة بناها صلاح الدين واتخذها معقلا له ، كذلك أمر السلطان الناصر ببناء سور يحيط بالقاهرة والقلعة والفسطاط ولكن المنية أدركته قبل انجاز مشروعه فقام الملك العادل وأكمل بناء القلعة سنة ١٢٠٨ م وأنشأ بها قصورا وزاد في مساحتها ثم اتخذها مقرا لملكه الى أن توفي فاستمرت من بعده مركزا للحكم ومقرا للسلطنة .

وكان نصيب المدارس من اهتمام الأيوبيين وافرا فأشادوا مدارس الصالحية على مساحة من الأرض تقدر بستة آلاف متر وقد خصصت لتدريس المذاهب الأربعة ، وهذه أول مرة يتقرر فيها ذلك في مدرسة واحدة . كما أنشأت الملكة شجرة الدر تربة ليدفن فيها زوجها الملك الصالح نجم الدين لأنه لما توفي وهو في حصار المنصورة سنة ١٢٤٩ م أخفت موته وحملت جثته في سفينة الى النيل وبقيت في احدى حجر قلعة الروضة الى أن أتمت بناء هذه القبة ونقلت الجثة اليها بعد سنة . وبهذه التربة ميزات معمارية كثيرة أهمها النجارة بالأبواب والشبابيك النحاسية المفرغة وهي أقدم نموذج من نوعها ، والتابوت الخشبي الرائع ، وكذلك رخام المحراب فإنه أقدم نموذج بقي من محاريب القاهرة .



محراب المدرسة الحلاوية الأيوبية في حلب

(٤) بصرى أسكي شام مدينة أثرية نبطية فـــي حوران .

(٥) تعرف عند العرب باسم صرخد ، مدينة في جبل الدروز الى الشرق من بصرى .

العقاد العملاق

كيف وسع زاوية الصحافة !

بقلم الاستاذ البدوي الملثم

منذ شب العقاد عن الطوق وعرف شيئا اسمه المستقبل لم يؤمن بصناعة غير صناعة القلم .. ولم يعشق فنا غير فن الصحافة .

تطلع ذات يوم الى دولاب في دار والده ، فألفاه مترعا بصحف أسبوعية وشهرية قديمة أكثرها من المجلات التي أصدرها الصحفي المطبوع عبد الله نديم وفي طليعتها مجلة «الأستاذ» وقد برع صاحبها بالعناوين التي كان يختارها لمقالات مجلاته ، ومن عناوينه الأنيقة « كان ويكون » و « التنكيت والتبكيت » لاسم صحيفة و « المسامير » لكتاب هجاء .

أول الغيث : وأقبل (العقاد) على الصحف التي أصدرها (نديم) وفاضت بها مكتبة والده محمود العقاد . يقرأ موادها ويقف مدهوشا أمام عناوينها ، وذات يوم قصّ ورقا أبيض على قدر مجلة « الأستاذ » وعمد الى مكان العنوان منها فكتبه بخط أنيق معارضا عنوان « الأستاذ » بعنوان « التلميذ » ومعارضا كذلك افتتاحية رنّ صداها في كافة الأوساط المصرية وظلت حديث المجالس زمنا طويلا وهي الافتتاحية التي اختار لها النديم ، عنوان « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا » فعارضه العقاد بعنوان لافتتاحية العدد الأول من « التلميذ » هو « لو كنا مثلكم ما فعلنا فعلكم ! »

ويتلخص مقال النديم في أن المصريين يطلبون الاستقلال ويدعون أنهم والأوربيين أشباه وأنداد . لكن الأوربيين ينكرون هذا الزعم ولا يكلفون أنفسهم غير دليل واحد يثبتون به الفارق البعيد بينهم وبين المصريين ، فإذا قالوا لهم « نحن مثلكم » قالوا لنا « تلك دعواكم ، ولو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا ! »

استغرقت مقالة النديم هذه أكثر من عشرين صفحة وقد ختمها بقوله : « أن آخر الدواء الكيّ ، وقد بلغ السيل الزّبى ، فإن رفأنا هذا الخرق ، وشددنا أزر بعضنا ، أمكننا أن نقول لأوربا : نحن نحن ... وأنتم أنتم ... وان بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالأجانب فريقا بعد فريق حقّ لأوربا أن تطردنا من بلادنا الى رؤوس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشي ، وتصدق في قولها : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا ! » .

وأمسك العقاد بتلابيب مقال النديم وفنده فقرة فقرة وردّ عليه ردا يدلّ على نظر ثاقب ، ورأي صائب .

واصدر العقاد من « التلميذ » بضعة أعداد وكان قراؤها من زملائه في المدرسة ومن أقاربه المشجعين ودرج على عادة ألفها في صغره ولم يقو على أن يغيرها فتأصلت فيه منذ شرع في اصدار التلميذ الى أن بلغ الصدارة في (حزب الوفد) وتحرير الصحف الناطقة باسمه ، وهي أن يجهز ورق الكتابة الصحفية بالقياس الذي كان يقصّه ويكتب عليه مقالات التلميذ ، ومتى كتبها طواها طولا كما تطوى « التلميذ » وأودعها غلافا مستطيلا كالغلاف الذي توضع فيه المجلة ، وكلما قاربت الأوراق والظروف المستطيلة النفاد أوصى بصنع كميات منها .

لكان عبد الله النديم أول من لفت العقاد الى العمل الصحفي ، وكانت مطالعاته أول مطالعات وجّهته الى هذه الصناعة ، وهنالك شبه عميق بين النديم والعقاد ، فالأول تعلّم صناعة التلغراف كما تعلمها الثاني ، واشتغل النديم في مدرسة خيرية كما اشتغل العقاد . وحاول النديم الاستخفاء عند مطارداته في أعقاب الثورة العرابية وكذلك فعل العقاد أكثر من مرة في الحرب العالمية الأولى .

ولما بلغ العقاد السادسة عشرة من عمره ، عمل لأول مرة في صحيفة الدستور ، وعند اعلان الدستور مدح العقاد الخليفة عبد الحميد بأبيات هنأه بها وسجّل تاريخ السنة بحساب الحروف الأبجدية فكان التاريخ هذه الشطرة : « وقد أنشأ الدستور عبد الحميد ! »

أصدر العقاد « التلميذ » مخطوطة وهو طالب في الثانية عشرة ولم يملك من المال ما يكفي للتفكير في طبع المجلة حتى ولا تغليفها .

وأنهى العقاد دراسته الابتدائية في اسوان وعمل موظفا في مالية الزقازيق براتب شهري قدره خمسة جنيهات ، وصمم على أن يدخر في نهاية كل شهر جنيها واحدا ، ومتى تجمع لديه مبلغ مما يدخره ينفق على طباعة العددين الأول والثاني من التلميذ وهذان العددان وأشباههما يباعان ويؤمنان طباعة بقية الأعداد .

وعرف العقاد شيئا عن نفقات الطباعة في الزقازيق ، وذات يوم برّح به الشوق الى أسوان فنظم قصيدة على وزن قصيدة كفيف المعرة التي مطلعها :

علّلاني فـــان بيض الأمـــاني
فنيت والظـــلام ليس بفـــان

وكان مطلع قصيدة العقاد في الحنين الى أسوان :

ذكّرانـــي نعيمها ذكّرانـــي
حبـــذا لو علمتما مـــا أعاني!

فصفق زملاء العقاد المتأدبون لهذه القصيدة واقترحوا عليه طبعها ليحتفظ كل منهم بنسخة ، وتكفل أحدهم بتقديمها الى مطبعة في الزقازيق فلم تكلفهم ورقا وطباعة أكثر من ثلاثين قرشا لمئتي نسخة . وقيل لهم انها تكلفهم أقل من خمسين قرشا اذا طبع منها مئتا نسخة أخرى فعرفوا التسعيرة ، وعرفوا الفارق بين نفقات طبع قصيدة ونفقات طباعة مجلة !

وعول العقاد على الاستقالة من عمله الحكومي والانتقال الى القاهرة . وذات يوم يمم شطرها متأبطا مواد المجلة ، مترددا بين اسمي « البيرق » و « رجع الصدى » . وأخيرا آثر الاسم الثاني وكتب العنوان بخط أنيق ليخرجه الحفار كما كتبه (العقاد) وعرج على كتبي عتيق اعتاد العقاد أن يمر به كلما هبط القاهرة من الزقازيق ، وكاشفه بأمـــر الصحيفة التي أزمع اصدارها فصاح به الكتبي : « مـــاذا ؟ أتترك خدمة « الميري » وتشتغل (بالقزازيط) والجرانيل ؟ ان كنت لا تدرك ما أنت مقدم عليه فانتظر هنيهة لترى مئة من هؤلاء (الصائعين) يتمنون التراب تحت قدميك في وظيفتك ولا يصلون اليه . لا يا صاحبي ... لا انني أراك أعقل من هذا يا بني ... فلا تخيّب أملي فيك ! » .

لم يقنع العقاد بنصائح الكتبي اذ لم يسمع منه جديدا عن خدمة « الميري » وقداستها في عرف أبناء ذلك الجيل ، فلم يزحزحه هـــذا التحذير قيد شعرة عن نية التصميم والتنفيذ !

انما زحزح العقاد قيد ميل عن تلك النيـــة منظران من المناظر التي كانت تتكرر في كل حلقة صحفية ولا يستغربها أحد من المتفرجين . ذلك أن كانت بجوار المكتبة مطبعة صغيرة كانت تطبع فيها الصحف الأسبوعية ، وكان مدير احدى الصحف يرجو صاحب المطبعة أن يعجّل باصدار العدد ، لكن صاحب المطبعة يأبى أن يخرج العدد ما لم يحصل على أجرته وأجرة العدد السابق الذي صدر قبل أسابيع . ووقف المدير ينتظر وكيلا له أرسله الى المشتركين للتحصيل ، وعاد الوكيل على صورة يقصر عنها أمل المتسول الذي يريد أن يبالغ في اثبات صناعة التسول ، واستدرار شفقة المحسنين والمسيئين ! فصاح به المدير : « ما وراءك ؟ » .

فأخرج الوكيل ايصالا معادا من أحـــد المشتركين وقال ان الاشتراك مسدد قبل الآن !

فسأله المدير : « أين الايصال الآخر ؟ . »

قال الوكيل : « ان الرجل قطعه ورماه في وجهي ! »

فهمَ المدير بضربه وهو يقول : « رماه في خلقتك ...؟ مستحيل ... ان فضيحة بيته معروفة يخشى من الاشارة اليها بكلمة ، فلا تقل انه قطع الايصال ورماه في خلقتك الشريفة ، بل قل انك تصرفت بالاشتراك كعادتك وجئتنا بخفي حنين ! .

وكان هذا أول الأدوار التقليدية المحفوظة ولم يكن آخرها ولا أقبحها ، وفي واحد منها الكفاية للعدول عن الخطوة الأولى ! كان هذا المنظر المخجل الذي شهده العقاد باعثا على (قرفه) من نفر رخيص جاهل متكالب على الصحافة ولكن الصحافة كفنّ كانت في نظره شيئا مقدسا !

وكانت الدستور(1) التي أصدرها محمد فريد وجدي أول صحيفة يومية عمل فيها العقاد وكان في وسعه ، قبل العمل فيها ، أن يعمل في تحرير (اللواء) (2) أو في قلم الترجمة اذ كان هذا القلم يتطلع الى مترجمين ألفاء يعرفون الانكليزية أو الفرنسية ، وذات يوم خطر للعقاد أن ينضم الى قلم الترجمة في اللواء لكنه تردد حتى أحجم !

بدأ العقاد عمله في الدستور براتب شهري قدره ستة جنيهات وكان قوام هيئة التحرير محمد فريد وجدي صاحب الصحيفة والعقاد وأحمد وجدي المحامي وشقيق فريد وكان هذا محررا متطوعا ، وكان زملاء أحمد وجدي يتطوعون معه بالكتابة من حين إلى آخر ، لكنهم أضربوا جميعا بعد الخلاف الذي نشب بين محمد فريد وجدي ومصطفى كامل . ورضي العقاد بعمله الصحفي وكانت وجبة الفطور في ذلك الزمان تكلفه خمسة مليمات : فمليم ثمن نصف رغيف ، ومليمان ثمن الفول والزيت ، ومليم ثمن صفحة من السلطة ، ومليم ثمن برتقالة أو اصبع موز أو أربع بلحات !

وطعام الغداء كان يتقاضاه عشرين مليما للصفحة من الخضار وفيها قطعة من لحم البقر أو الضأن ، وغرفة النوم لا تكلف أكثر من ثلاثين قرشا في الشهر الواحد ، وديوان (البهاء زهير) بقرش صاغ وديوان المتنبي بعشرة قروش « والمستطرف فـــي كل فنّ مستظرف » بقرشين !

واختار العقاد (ع . م . العقاد) توقيعـــا لمقالاته ، لكن مثل هذا التوقيع كان موضع تندر زملائه الهازلين والمداعبين وذلك بضم الحرفين في كلمة (عم) . لكن العقاد ظـــل يذيل مقالاته بتوقيع (ع . م العقاد) ولم يتراجع عنه !

وكـــان العقاد أول صحفي مصري أجرى حديثا مع وزير ...

اقتحم العقاد هذا البـــاب لأول مرة وأجرى حديثا مع سعد زغلول وزير المعارف وحديثا مـــع الغازي أحمد مختـــار « قوميسير » الدولة العثمانية تطرق فيه الى نظام الجيش في عهـــد الاحتلال العسكري ، ونقد « القوميسير » النظام السائد عهد ذاك ، فحرك هـــذا الحديث بريطانيا وطلبت من عباس الثاني أن يحمل قائدا عسكريا يمثل الدولة العثمانية على الاعتذار ، لكـــن الغازي أحمد مختار ظلّ على القول الذي أدلى به ، لكنه غلب بعد التهديد فسحب ممثل الدولة العثمانية من القاهرة .

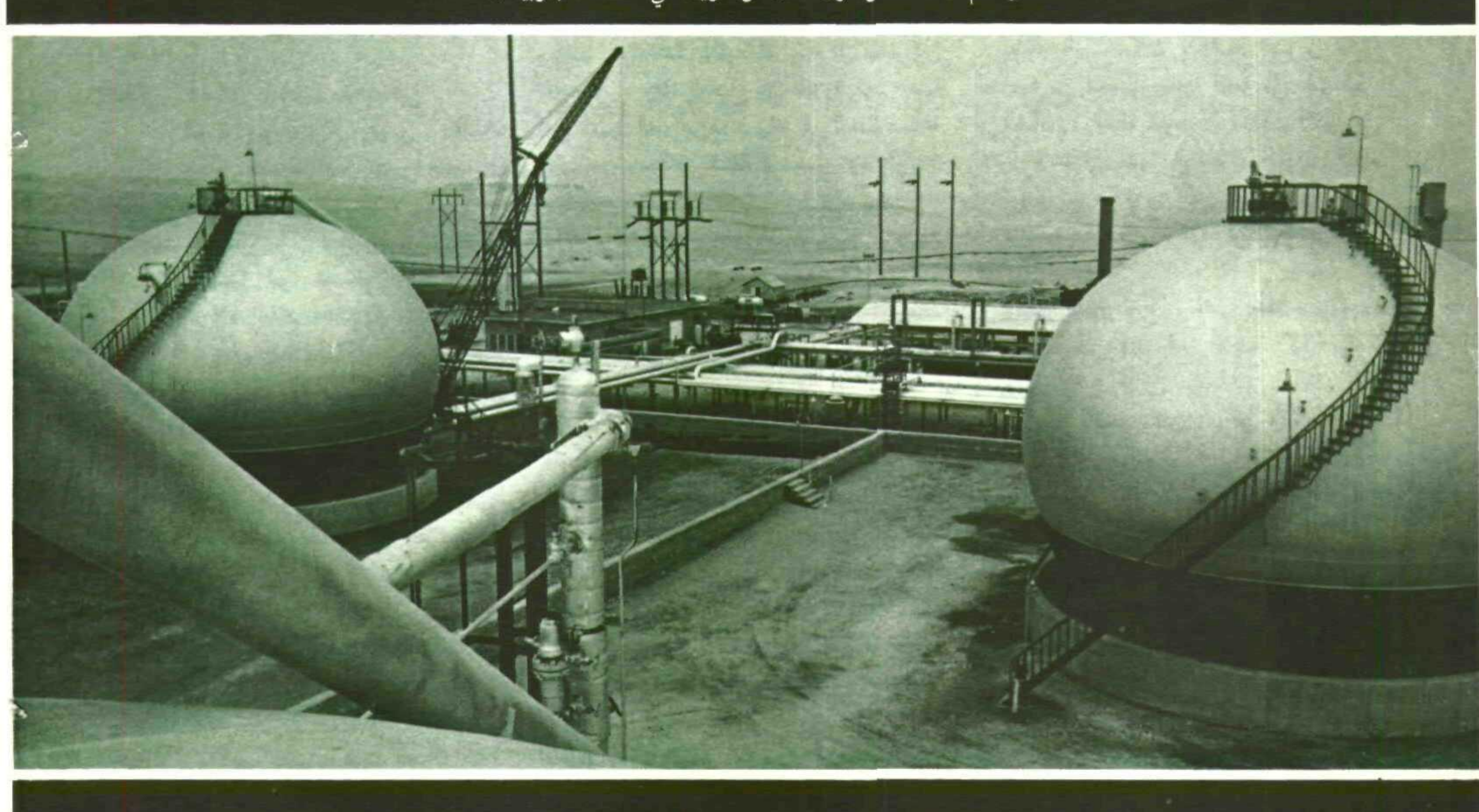
وظلّ العقاد في تحرير (الدستور) إلى آخر عدد صدر منه فاحتجبت هذه الصحيفة ووعد صاحبها العقاد بالتعاون معه في عمل صحفي آخر !

---

(1) تاريخ ظهورها في تشرين الثاني ١٩٠٧ (2) تاريخ ظهورها في ٢ كانون الثاني ١٩٠٠

المنطقة الجنوبية بين الأمس واليوم والغد

منظر عام لأحد معامل فرز الغاز من الزيت في المنطقة الجنوبية .



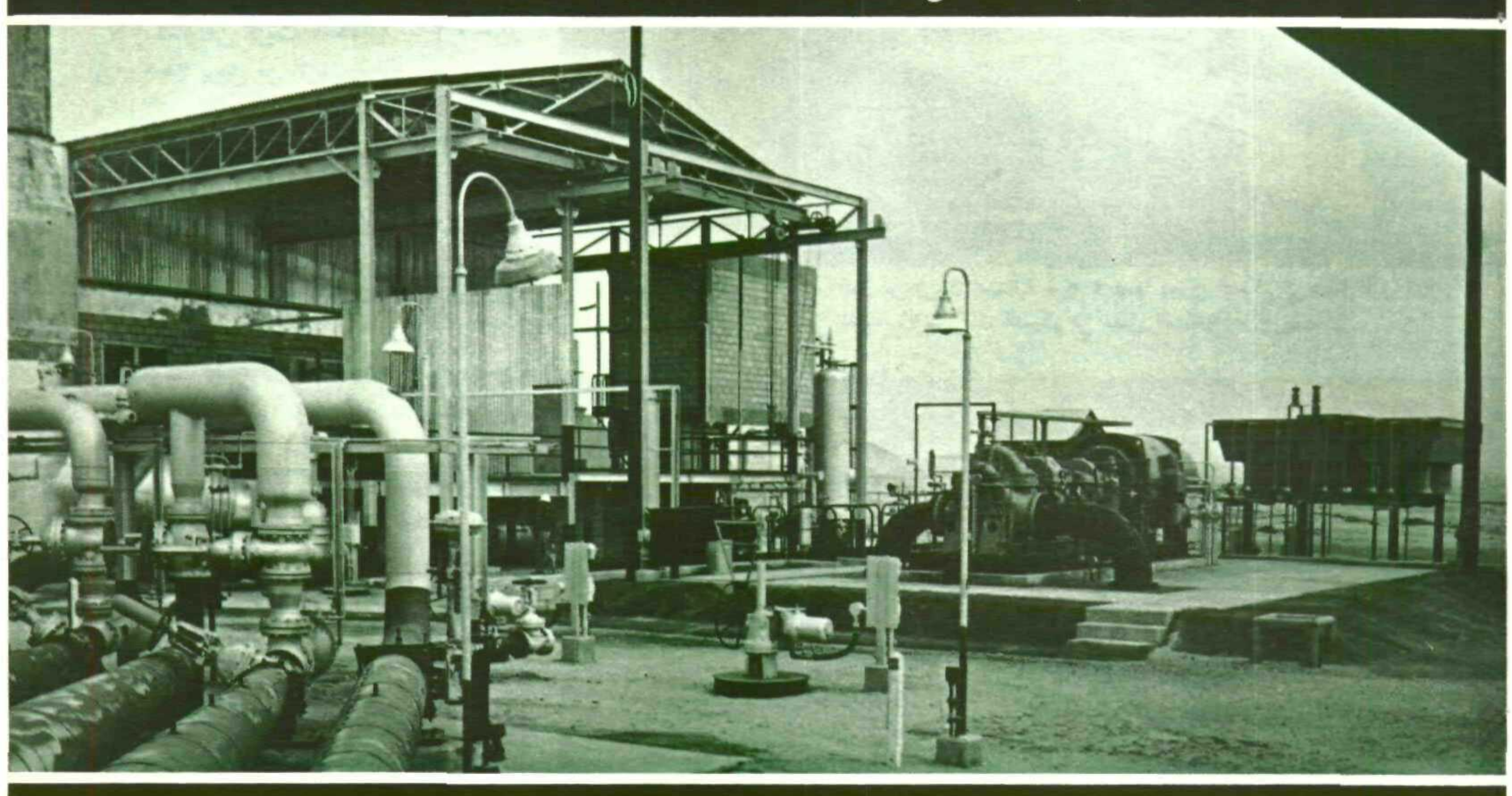
سجلت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) ، في الآونة الأخيرة أرقاما قياسية في الانتاج ، كان آخرها حتى كتابة هذه السطور الرقم الذي سجلته يوم ٢ فبراير من هذا العام ، والذي بلغ ٣١٩٦٠٠٠ برميل من الزيت الخام . ولكن الانتاج المتزايد الذي أمكن تحقيقه لا بد وأن سبقته استعدادات فنية وتطورات في مرافق الانتاج . وقد شملت التطورات زيادة الطاقة على انتاج معامل فرز الغاز من الزيت أو اضافة معامل أخرى ، وزيادة الطاقة على محطات الضخ ، واضافة خطوط أنابيب جديدة ، أو ابدال خطوط الأنابيب القائمة بخطوط أنابيب أخرى أضخم وأطول . وجميع هذه الخطوات طبعا تطلبت دراسة وافية ، وتصميما دقيقا ، وخطوات انشائية متعددة شملت مناطق الانتاج الثلاث ، فطوّر حقل السفانية المغمور وضوعف انتاجه ، وأجريت توسعات عديدة في معامل فرز الغاز من الزيت في المنطقة الوسطى ، وأضيفت مرافق جديدة في المنطقة الجنوبية . ولما كان المجال لا يسمح بتناول هذه التوسعات جميعا اقتصرنا الحديث على التوسعات التي تمت والتي هي قيد الانشاء في المنطقة الجنوبية .

معامل الفرز الحديثة

منذ سنتين تقريبا ، كان انتاج المنطقة الجنوبية حوالي ٤٠٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام في اليوم . هذا الانتاج يصدر عن ثلاثة معامل لفرز الغاز من الزيت هي « العثمانية ١ و ٢ و ٣ » ،

يأتيها الزيت من ٥٠ بئرا منتجة موزعة على مقربة منها . أما حاليا ، فقد زاد انتاج المنطقة فأصبح حوالي ٧١٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام في اليوم . وكان ذلك نتيجة لارتفاع عدد الآبار المنتجة للزيت الى ٩٨ بئرا يستقبل زيتها المتدفق ستة معامل لفرز الغاز من الزيت هي الثلاثة التي سبق ذكرها والتي أجريت عليها بعض التطويرات ، وثلاثة أخرى أقيمت حديثا وهي لفرز الغاز من الزيت رقم — ٣ ، وهناك تتم المرحلتان الأخريان من الفرز قبل أن يضخ الى منطقة بقيق ، حيث يتعرض لمزيد من مراحل المعالجة . وعلاوة على مصيدة الغاز ، يحتوي كل من المعامل الثلاثة على مضخة مساعدة طاقتها ٥٥٠ حصانا ميكانيكيا ومضخة ارسال طاقتها ٨٥٠ حصانا ميكانيكيا . فمن معمل فرز الغاز من الزيت حرض — ٢ ، يضخ الزيت عبر رقم — ٥ » ١٢٥٠٠٠ برميل ، فتكون الكمية الواردة الى معمل فرز الغاز من الزيت « العثمانية — ٣ » ، ٢٩٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام في اليوم ينضم اليها من الآبار المحيطة بالمعمل حوالي ١٧٠٠٠٠ برميل بعد أن تكون قد مرت بالمرحلة الأولى من مراحل الفرز ، وهكذا تكون طاقة معمل فرز الغاز من الزيت « العثمانية — ٣ » ، خلال المرحلتين الأخيرتين من الفرز حوالي

تقوم هذه المحطة بضخ زيت المنطقة الجنوبية الى بقيق عبر خط أنابيب قطره ٣٠ بوصة .



معمل حرض لفرز الغاز من الزيت رقم — ٢ ، ومعمل الحوية لفرز الغاز من الزيت رقم — ١ ، ومعمل العثمانية لفرز الغاز من الزيت رقم — ٥ ، وهي معامل تعمل تلقائيا ، يزورها المشغل مرة في اليوم فقط لتفقدها . وفي هذه المعامل تجري مرحلة الفرز الأولى من مراحل ثلاث ، وتتم بتخفيض ضغط الزيت ، الذي يرد اليها تحت ضغط قد يصل الى ٥٠٠ رطل على البوصة المربعة ، تدريجيا الى حوالي ٢٠٠ رطل على البوصة المربعة . ثم يدفع عبر خط أنابيب الى معمل العثمانية خط أنابيب قطره ١٨ بوصة الى معمل فرز الغاز من الزيت الحوية — ١ ، ومن هنا يضخ الزيت الى معمل فرز الغاز من الزيت العثمانية — ٥ عبر خط أنابيب قطره ٢٤ بوصة . ومنها يوصل الى بقيق عبر خط أنابيب قطره ٣٠ بوصة .

ويصدّر من معمل فرز الغاز من الزيت « بقيق — ١ » يوميا ٤٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام ، ينضم اليها في معمل « الحوية رقم — ١ » ١٢٥٠٠٠ برميل ، وفي معمل « العثمانية ٤٦٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام . ففي المرحلة الثانية ، أي في المصيدة ذات الضغط المنخفض ، ينخفض ضغط الزيت الى ٥٠ رطلا على البوصة المربعة ، ثم ينخفض في المرحلة الثالثة ، أي في الخزان شبه الكروي الى خمسة أرطال على البوصة المربعة . وحينئذ يكون الزيت قد تخلص من معظم الغازات الممزوجة به فتتولى ضخه مضختان احداهما كهربائية والأخرى تعمل بقوة الغاز . وهاتان المضختان تم تركيبهما حديثا بدل المضخات الصغيرة القديمة التي كانت

قائمة ، وطاقـة كل منهما ٣٠٠٠ حصان ميكانيكي . وفي المعمل أيضا ثلاث مضخات مساعدة طاقة كل منها ٣٠٠ حصان ميكانيكي ، ومضختان احتياطيتان طاقة الأولى منهما ٨٥٠ حصانا ميكانيكيا ، وطاقة الأخرى ٥٥٠ حصانا ميكانيكيا . كما يحتوي أيضا على خزان تفحص فيه كمية انتاج الآبار متفرقة .

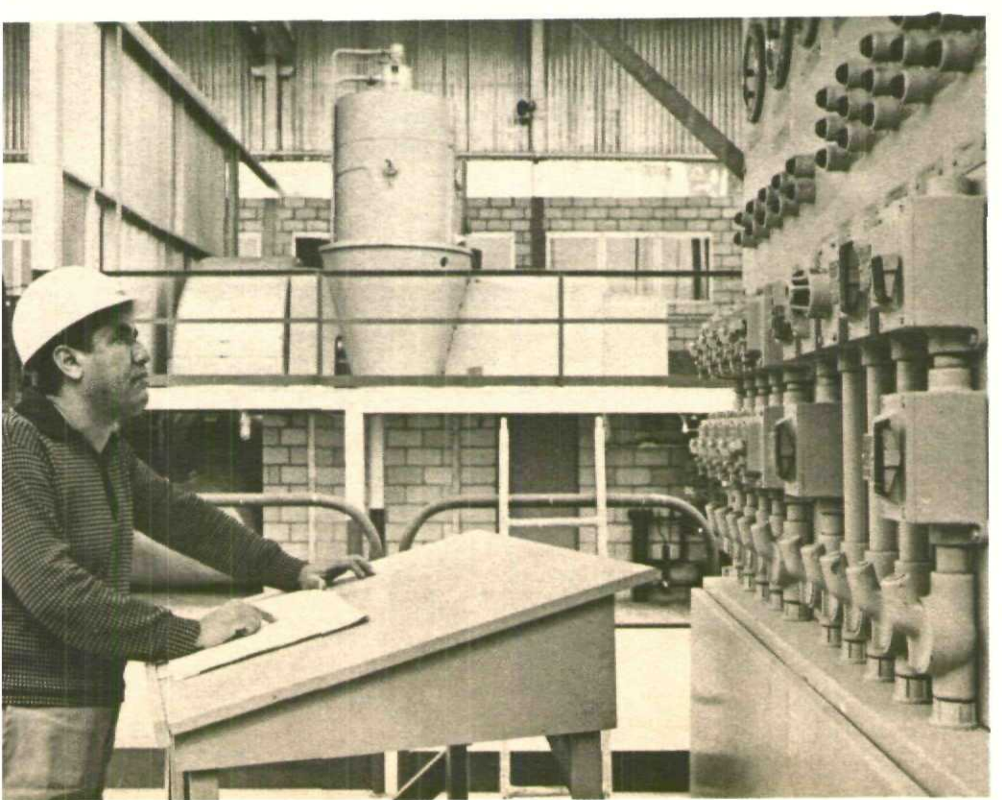
أما معملا فرز الغاز من الزيت « العثمانية – ١ و ٢ » ، فلم تطرأ عليهما تغييرات تذكر سوى ابدال بعض المضخات والأنابيب بأخرى أكثر ملاءمة . ويبلغ انتاج معمل فرز الغاز من الزيت « العثمانية – ١ » حوالي ١١٢٠٠٠ برميل من الزيت الخام ، بينما يبلغ انتاج معمل فرز الغاز من الزيت « العثمانية – ٢ » حوالي ٣٥٠٠٠ برميل من الزيت الخام .

محطة خريص

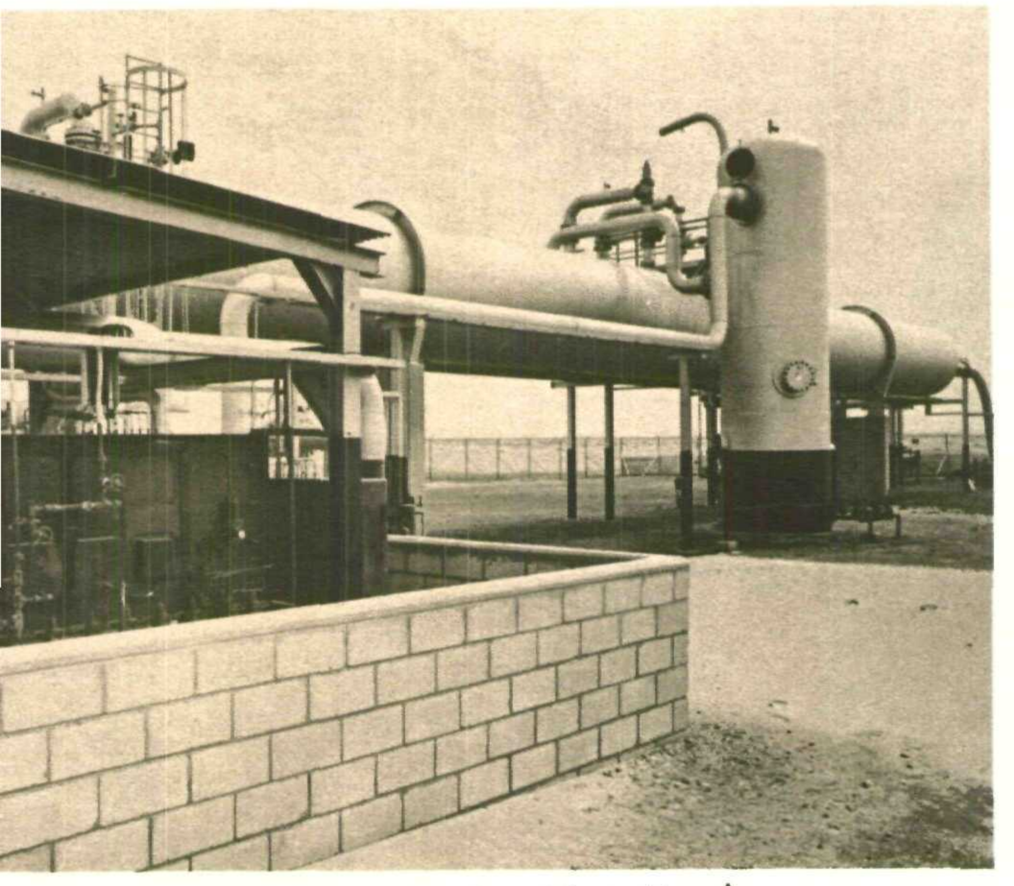
ليس في هذه المحطة منشآت سوى أربعة خزانات صغيرة أحدها يعمل كوحدة للتركيز ، والثلاثة الأخرى لخزن الزيت ريثما يعبأ في صهاريج السيارات . فمن بئر خريص رقم ١ ، يرد الزيت الى خزان سعته ٤٥٠٠ برميل ، حيث يلتقي بتيار من الأمونيا والهواء ، يسلطه عليه من أسفل الخزان ضاغط مجاور ، فيتفاعل الأمونيا والهواء مع غاز كبريتيد الايدروجين ليبقى الزيت بعد ذلك حلوا مركزا . وبعد التأكد من أن الزيت قد أصبح خاليا تماما من الغاز المذكور ، يضخ الى أحد الخزانات الثلاثة الأخرى ريثما يباع للزبائن . وتبلغ مبيعات محطة خريص حوالي ٤٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام يوميا تباع جميعها من الخزانات رأسا ، ويوجـد في أسفل الخزان عداد يبين مقدار الكمية المباعة .

المشاريع المستقبلة

جميع المنشآت الجديدة التي تطرقنا اليها تم تشييدها بعد استيفاء الدراسة الفنية والاقتصادية لزيادة الانتاج تمشيا مـع متطلبات الأسواق العالمية . والمشروع الذي يجرى العمل عـلى تنفيذه حاليا ، هـو الغاء آخر مرحلة من مراحل فرز الغاز من الزيت ، وارسال الزيت الى بقيق تحت ضغط مقداره ٥٠ رطلا على البوصة المربعة . وفي بقيق تتم المرحلة الأخيرة من الفرز ، فيتوفر



غرفة المراقبة في معمل فرز الغاز من الزيت العثمانية – ٣ ، ومنها يجري التحكم في معامل فرز الغاز من الزيت الثلاثة التي تعمل تلقائيا بالاضافة الى التحكم في معمل العثمانية – ٣ نفسه .



أحد معامل فرز الغاز من الزيت التي تعمل تلقائيا .

بذلك الغاز الخام اللازم لمعمل غاز البترول السائل الذي يشاد حاليا في بقيق .

وهنالك مشروع آخر رهن الدراسة والتنفيذ وهو رفع طاقة انتاج معمل فرز الغاز من الزيت « الحوية – ١ » من ١٢٥٠٠٠ برميل من الزيت الخام في اليوم الى حوالي الضعف . وكذلك رفع طاقة الانتاج في كل من معملي فرز الغاز من الزيت العثمانية – ١ و ٢ .

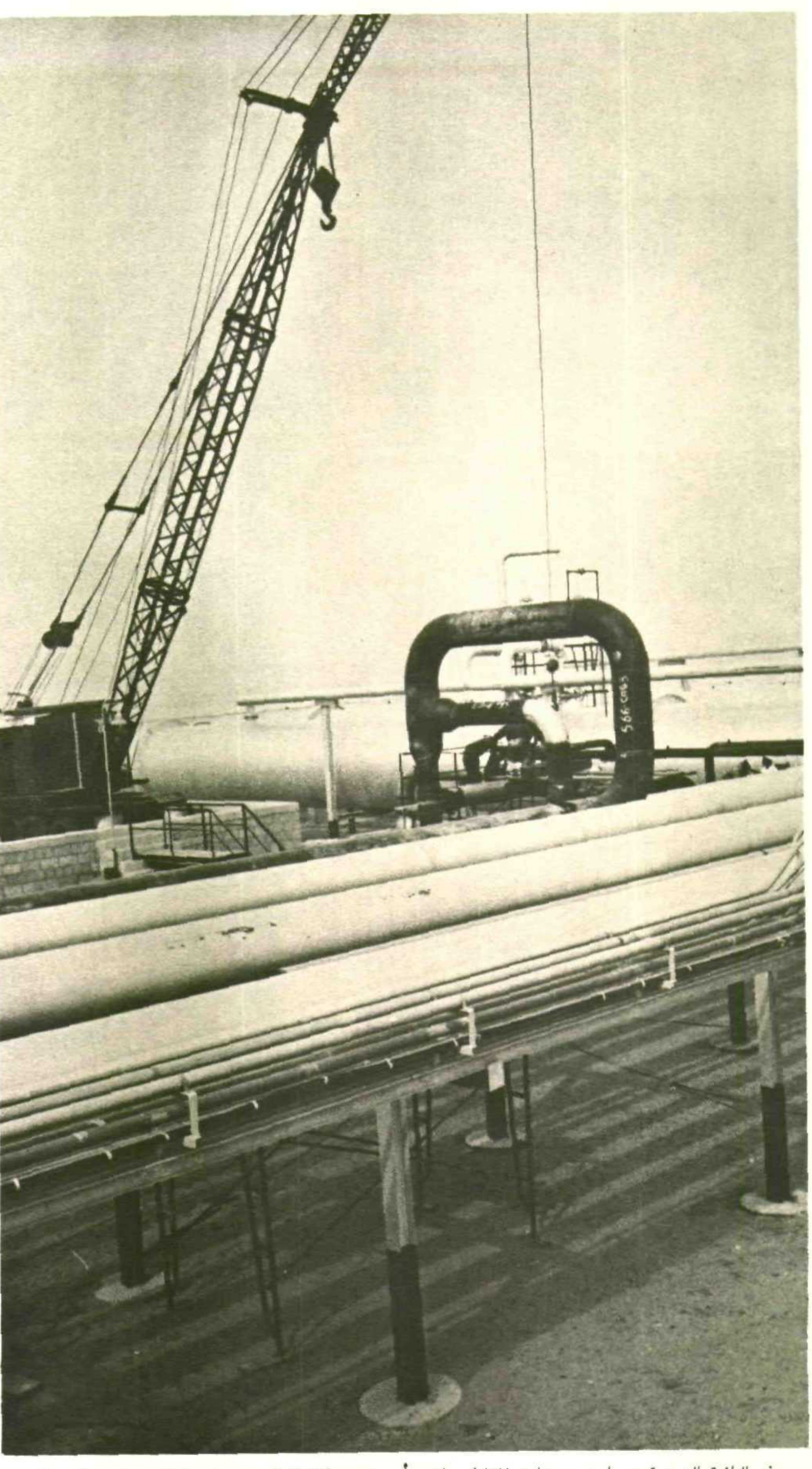
كما سيعمد قريبا الى تطوير حقل خريص وزيادة الطاقة على انتاجه ، وذلك بتشييد ثلاثة معامل جديدة لفرز الغاز من الزيت تعمل تلقائيا وتبلغ طاقتها الاجمالية في البداية ٦٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام . وستجرى في هذه المعامل الثلاثة المرحلتان الأوليان من فرز الغاز ، ثم ضخ الزيت تحت ضغط مقداره ٥٠ رطلا على البوصة المربعة عبر خط أنابيب قيد الانشاء ، يمتد رأسا الى رأس تنورة . أما بالنسبة لضخ الزيت ، فستقام في المعامل الآنفة الذكر مضخات مساعدة ومضخات ترحيل تعمل بالديزل . هذا وستشمل عمليات التطوير في خريص بناء مرافق للسكن .

الطاقة الكهربائية

كانت المنطقة الجنوبية تتزود بالطاقة الكهربائية من محطة توليد الطاقة الموجودة في منطقة العضيلية ، الا انه نظرا لتطور مرافق هذه المنطقة وازدياد انتاجها واحتياجها الى المزيد من الكهرباء ، عمد الى تزويدها بالكهرباء من بقيق عبر خط كهربائي قوة ضغط التيار فيه ٢٤٠٠٠ فولت ، وايقاف المحطة القديمة وابقائها محطة لتوليد طاقة احتياطية . ويحمل الخط الجديد التيار من بقيق الى معمل فرز الغاز من الزيت «العثمانية–٣» ، ومن هذا المعمل توزع الكهرباء على مختلف مرافق انتاج المنطقة الجنوبية ، وعلى حي السكن في العضيلية .

الراديو والتلفون

كانت المنطقة الجنوبية فيما مضى تتلقى المكالمات الهاتفية ، والاشارات اللاسلكية عبر هوائي واحد ، الأمر الذي كان يسبب تشويشا في الارسال . فجرى في الآونة الأخيرة انشاء هوائي خاص بالارسال الهاتفي يبلغ طوله حوالي ١٣٨ مترا .



هذه الرافعة الضخمة هي احدى معدات المقاول «راضي أبو نجم» الثقيلة التي يستخدمها في مشاريع التوسعة .

موظفو المنطقة الجنوبية

يتبين مما سبق ذكره أن المنطقة الجنوبية ليست منطقة انتاج فحسب . بل ان هنالك اعمالا أخرى لا بد من أن تسير مع أعمال الانتاج جنبا الى جنب حتى تبقى عجلة العمل دائمة الدوران . وهكذا فان قسم الانتاج في المنطقة الجنوبية يضم بالاضافة الى وحدة الانتاج أربع وحدات أخرى هي وحدة الورش والصيانة ، ووحدة خدمات حي السكن ، ووحدة المواصلات . ويعمل في هذه الوحدات جميعا ١٢٥ موظفا بينهم ناظران و ١٢٠ موظفا من العرب السعوديين .

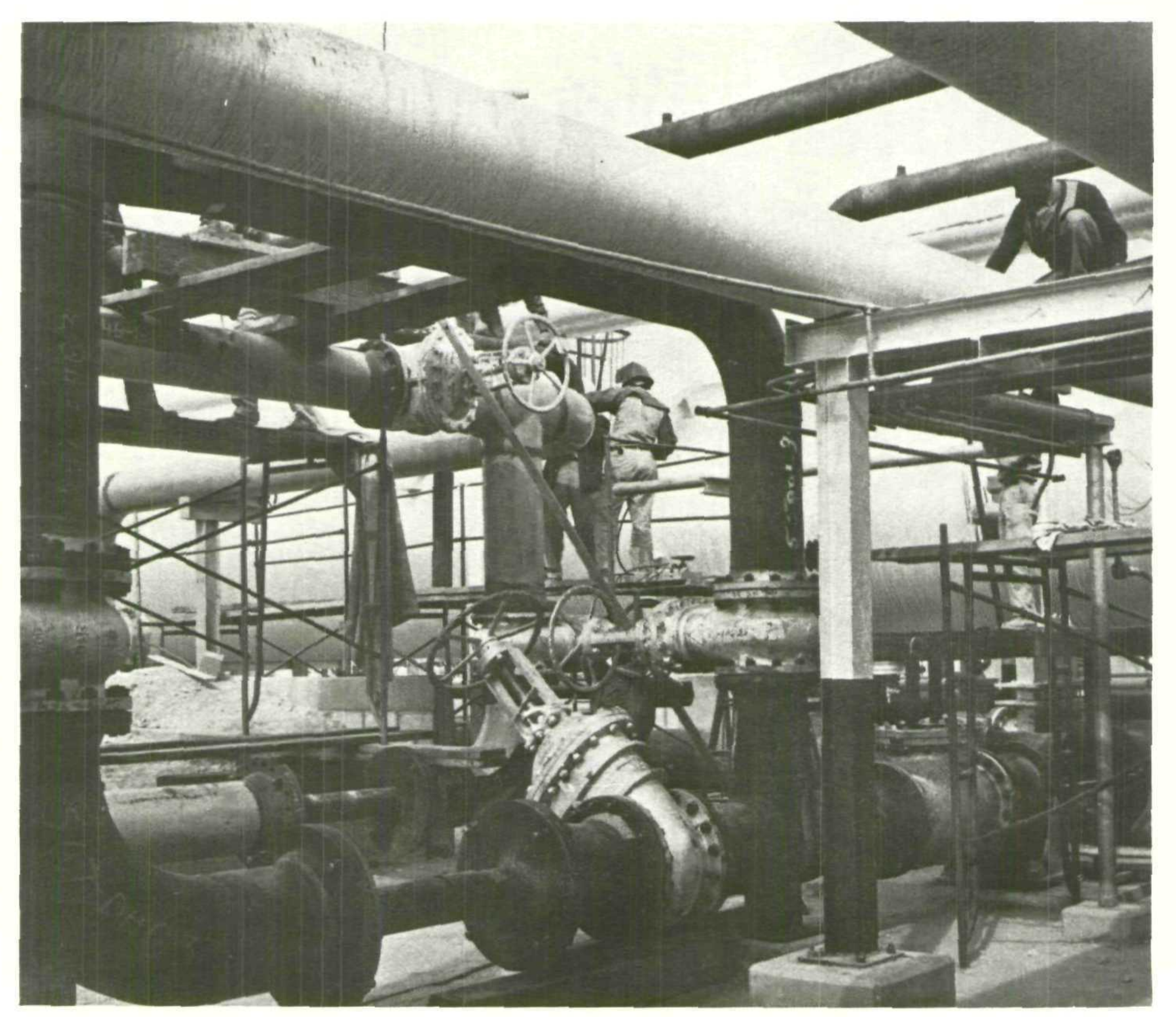
أما الموظفون العاملون في انتاج الزيت فيبلغ عددهم ٦٩ موظفا يعنون بالاشراف على ٩٨ بئرا منتجة للزيت ، وعلى خطوط الأنابيب ومعامل الفرز الستة السالفة الذكر . وقد أقيم لهم في حي العضيلية مركز تدريب صناعي ، فيه ثلاثة مدرسين ، ويتلقى فيه الموظفون دروسا تتفق وطبيعة أعمالهم .

تنفيذ المشاريع الإنشائية

قام بتنفيذ المشاريع الانشائية التي تمت في المنطقة الجنوبية المقاول السعودي راضي أبو نجم ، ويعمل لديه حوالي ٣٠٠ عامل سعودي يعملون في كل من معامل فرز الغاز من الزيت « العثمانية — ١ و ٢ و ٣ » ، وكذلك في معملي فرز الغـــاز من الزيت « عين دار — ٤ » و « شدقم — ١ » .

بقي أن نذكر ، ان انتاج المنطقة الجنوبية في اطراد مستمر . ويتوقع في غضون عام أو يزيد أن يصل الى نحو ٨٠٠٠٠٠ برميل من الزيت الخام في اليوم .

عصام العماد



يجرى تبديل أنابيب بعض معامل فرز الغاز من الزيت في المنطقة الجنوبية وذلك لزيادة طاقة انتاجها .

تصوير : علي خليفة

لقاء بين أديبين

الأستاذ محمد عبد الغني حسن، شاعر الأهرام والأديب العربي الكبير، غني عن التعريف. وكان الأستاذ ياسين رفاعية قد وجه اليه بعض الأسئلة التي تدور حول حياته وذكرياته وعمله الأدبي، فأجاب الأديب الكبير عنها اجابة صريحة تظهر الشيء الكثير عن نفسيته وعمله ونشاطاته الكثيرة التي يقوم بها بهمة الشباب وعزمه، وقد ناهز الستين من عمره المديد، ان شاء الله.
وقد جرت المقابلة على الشكل التالي :

* أين ولدت ؟

ان السؤال : يقتضي سؤالا آخر بجانبه : متى ولدت ؟ فالمكانية والزمانية هنا متلازمتان ،ولن تفصل أحدهما عن الآخر . وما الحكمة في السؤال عن مكان الميلاد اذ لم تعرف تاريخه ؟ وان كانت سنوات الميلاد لم تؤثر شيئا في قضية التعريف بانسان . فهناك كثير من اعلام العرب والاسلام لم تعرف سنوات ولادتهم على التحقيق ، فتجد للواحد منهم بضعة أقوال في تاريخ مولده . وحسبك أن ترجع الى عبد الحميد الكاتب : رأس الكتابة الديوانية ومعلمها الأول ، وبشار ، وأبي العتاهية ، وعبد الله بن المقفع ، وأحمد بن يوسف ، وابن الرومي ، والجاحظ وابن المعتز ، وابن قتيبة وعشرات بل مئات من رجال الفكر العربي لترى أن مواليدهم مجهولة أو غير متفق على رأي واحد فيها ، وقد يقال أن سبب ذلك هو عدم وجود سجلات في تلك العصور البعيدة . ولكن ما ظنك في عصرنا الحديث حيث بقي الاختلاف على ميلاد علم من الأعلام . فأنطون الجميل — لم يعرف تاريخ ميلاده على التحقيق ، وهو قريب منا ، وقد كان بيننا حتى العقد الخامس من هذا القرن . وكذلك الشأن في الشاعر المهجري الكبير إيليا أبي ماضي .

على كل حال ، أخرج لك من هذا السؤال بالجواب المحدد الصريح عنه ، وهو اني من مواليد مدينة المنصورة عام ١٩٠٧ . وهي مدينة اشتهرت بمواقفها وخاصة في أواخر العصر الأيوبي وأوائل العصر المملوكي ، فقد اشتهرت بدار ابن لقمان التي أسر فيها الملك لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية على دمياط والبحر الصغير والمنصورة . واشتهرت المنصورة بأنها كانت وطنا أو مقاما لطائفة من شعراء العصر الحديث وأدبائه منهم : الكاتب المرحوم محمد السباعي والد الأستاذ يوسف السباعي ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والمؤرخ عبد الرحمن الرافعي ، والشعراء محمد الهمشري ، وعلي محمود طه ، والدكتور ابراهيم ناجي ، والأديب الأستاذ محمد توحيد السلحدار ، والشيخ محمود زناتي ، والدكتور منصور فهمي ، والدكتور نجيب البهبيتي ،ولفيف من شداة الأدب والثقافة .

* أين كانت مراحل دراستك ؟

دخلت مدرسة أولية أهلية . وكان هذا النوع من المدارس يسمى بالكتاتيب . أما المدرسة المدنية التي كانت تعلم اللغة الانكليزية فكانت تسمى بالمدرسة الابتدائية . وقد قصد والدي — عليه رحمة الله — من ادخالي « الكتاب » أن أحفظ القرآن الكريم كله كاملا ، حيث كانت المدرسة الابتدائية لا تحفظ التلاميذ من كتاب الله الكريم الا جزءا أو جزئين فقط ، هما : جزء عم ، وجزء تبارك . ولم يكن في المنصورة حينذاك معهد ديني يقوم بتحفيظ القرآن ، فآثر والدي أن يدخلني « الكتاب » لأحفظ كتاب الله ، على أن يرسلني الى معهد ديني بعيدا عن بلدي ، وأنا طفل ناشيء صغير . وقد أتممت حفظ القرآن الكريم قبل العاشرة واحتفل بي أهلي لهذه المناسبة احتفالا لا أزال أذكر بعض مباهجه . ولعل حفظي

لكتاب الله من الوسائل التي أعانت على تقوية حافظتي وذاكرتي . وقد أعانني ذلك فيما بعد على دراستي الأدبية والتار يخية واللغوية . فكثيرا ما كنت أحفظ القصيدة برمتها من الشعر الجاهلي أو الاسلامي أو الحديث وأمر بها كاملة بلا توقف . وأذكر أن قصائد الشاعر شوقي كانت تطالعنا في العشرينات من هذا القرن ، وكانت سني حينذاك بين الرابعة عشر والحادية والعشرين ، فكنت أرويها بتمامها . وأذكر منها نونية شوقي في توت عنخ آمون التي مطلعها :

قفي يا أخت يوشع خبرينا — أحاديث القرون الغابرينا

وقافية شوقي في النيل التي مطلعها :

من أي عهد في القرى تتدفق ....

ونونية شوقي الأندلسية التي مطلعها : يا نائح الطلح ....

وأراد والدي بعد اتمام حفظي للقرآن أن يدخلني مدرسة ابتدائية ليعوضني ما فاتني في الكتاب وخاصة في اللغة الأجنبية التي لم أكن أعرفها حتى ذلك الوقت . ولكن سني كانت كبيرة على المدرسة الابتدائية ، فأدخلت مدارس المعلمين ، وكانت هي الطريق الى الدخول في دار العلوم العالية . ودخلت دار العلوم سنة ١٩٢٤ وتخرجت من قسمها الثانوي سنة ١٩٢٨ ، ثم دخلت قسمها العالي وتخرجت منه سنة ١٩٣٢ ، وكنت الأول دائما في امتحانات النقل والاختبارات السنوية كل عام ، الا عام التخرج والحصول على الدبلوم سنة ١٩٣٢ فكنت فيه الثالث مكررا ... وقد أخذ مني « الأولية » من عرف كيف يغلبني ! وقد أشرت الى هذا المعنى في قصيدة نشرت لي بصحيفة الأهرام في صيف ١٩٣٢ وفيها أقول :

تأخر بي ركاب كنت أمضي — أشق به المفاوز والبطاحا
وكنت أصبح في صفي اماما — فأملأ جانبي صفي صياحا
وكنت الأول السباق فيهم — فكافحني الذي عرف الكفاحا

وقد كان المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد أكثر الكتاب حملات علي وخاصة حين قررت الحكومة ايفادي عضوا بالبعثة التعليمية الى انجلترا لدراسة التربية وعلم النفس ، فقد كتب رحمه الله مقالات كثيرة يلوم فيها الحكومة على ايفادي مع أني ثالث الليسانس لا أوله .

وقد كانت بعثتي التعليمية الى انجلترا وفرنسا مصدر خير وبركة علي وعلى اتجاهاتي الثقافية والأدبية ، فتعلمت الانجليزية والفرنسية وأجدتهما كتابة وقراءة ، مما مكنني بعد ذلك أن أدخل ميدان الترجمة ، فترجمت سنة ١٩٤٢ كتاب « المرأة والدولة في فجر الاسلام » للمستشرقة العربية المتأمركة ن. أبوت – أو نبيهة عبود ، وأثنى على الترجمة كثير من العلماء وعلى رأسهم الدكتور فؤاد صروف الذي كان رئيسا لتحرير « المقتطف » في ذلك العهد .

٭ كيف بدأت الكتابة وأين ، وما هي ذكرياتك الأولى حين بدأت ؟

لقد بدأت النشر في الصحف والمجلات شاعرا ، لا كاتبا . وهي بداية غريبة بعد أن انتهيت الآن الى أن أكون مؤلفا وباحثا . ولا تقل أن الشعر في قد نضب معينه ، ولكن الظروف هي التي تملي على المرء كل شيء . وقد بدأت شهرتي سنة ١٩٢٧ حين نشرت صحيفة « الأهرام » أول قصيدة لي في صفحتها الأولى ولقبتني بلقب « شاعر الأهرام » . وكان صاحب الفضل في ذلك أستاذي المرحوم « داود بركات » رئيس تحريرها ، والمرحوم جورج طنوس سكرتير تحريرها . وقد ظن بعضهم أن التلقيب بشاعر الأهرام هو نسبة الى أهرام الجيزة ، ولكنه نسبة الى صحيفة « الأهرام » التي أخصتني بهذا اللقب ، وآثرت شعري بالنشر في أهم صفحاتها في وقت لم يكن ينشر فيها الا شعر شوقي وأغلب قصائد ديواني « من نبع الحياة » ، وكذلك ديواني الثاني « من وراء الأفق » وهما من مطبوعات دار المعارف – أما ديواناي الآخران : « ماض من العمر » و « من وحي النبوة » فهما من منشورات سائر المجلات وخاصة الرسالة والمقتطف والثقافة ومجلة الكتاب التي كانت تصدرها دار المعارف .

أما أول مقالاتي فقد نشر في « البلاغ الأسبوعي » التي كان يصدرها عبد القادر حمزة ويرأس تحريرها المرحوم عباس محمود العقاد . ولقد نشرت في مجلة المقتطف أول نقد سنة ١٩٣٠ لكتاب « المرأة العربية » للمرحوم عبد الله عفيفي . وقد ضاق المرحوم بها كتبت وان كان لم يستطع التبرؤ من الأخطاء التي وقعت في كتابه . واني مدين للصديق الكريم الدكتور فؤاد صروف بتشجيعي على الكتابة والبحث في « المقتطف » ، فقد فسح صدره وصدرها لي في باب البحوث أحيانا ، وفي باب نقد الكتب والتعريف بها أحيانا أخرى . وكانت ندوة المقتطف من أمتع الندوات الي، فقد تعرفت فيها بكثيرين من أمثال الشيخ أحمد شاكر ، واللواء أمين المعلوف ، والدكتور محمد أسعد طلس وأحمد عارف الزين ، والدكتور حسن كمال ، واسماعيل مظهر ، والدكتور المؤرخ زكي محمد حسن ، وعوض خيري والعالم النباتي محمود مصطفى الدمياطي ، والشاعر عبد الرحمن شكري ، والدكتور محمد خليل عبد الخالق وغيرهــم .

ولقد كان نقدي للكتب في « المقتطف » خدمة للعلم ، لا يمليها غرض ولا يدفع به هوى . ولا أنسى نقدي لصديقي وأستاذي المرحوم علي الجارم في عدد ديسمبر سنة ١٩٣٨ بمناسبة ظهور الجزئين الأول والثاني من ديوانه ، ولقد تقبل المرحوم نقدي بصدر رحب ، وما حمل علي حقدا أو سر في نفسه شيئا .

ولعل القراء الأعزاء يذكرون نقدي للمرحوم عباس محمود العقاد حين ترجم الى العربية نشيدا لشاعر كندي خلال الحرب الكونية الثانية . وقد نشر نقدي في مجلة « الرسالة » وكان نقدا موضوعيا خالصا لا دخل للأمور الذاتية فيه ، فاغتاظ منه العقاد ، ورد علي في مجلة الرسالة قائلا في ختام رده : (ونصيحتي لكاتب الخطاب أن يتعلم قبل أن يتهجم ، وأن يتأدب قبل أن يكتب .) فرددت عليه في عدد الرسالة التالي ردا موضوعيا وقلت له ان ما وراء النقد الموضوعي من الخروج على أدب المناظرة هو ميدان لا أحسن الدخول فيه ! وقد كان هذا الحادث سببا للجفوة ثانية بيني وبين العقاد ، الى أن اضطرتني ظروف عملي الا أن آخذ منه حديثا لمحطة اذاعية عربية كانت في فلسطين ، فلقيت منه كرما وبشاشة وجه ونسيانا تاما لما كان . وفيما بعد أصدر ديوانه : « ديوان من دواوين » سنة ١٩٥٩ ، فزارني في مكتبي حيث كنت أعمل مديرا عاما للمؤسسة المطبوعات الحديثة ، وأهدى الي نسخة من هذا الديوان توجها بهذه العبارة : (الى الشاعر البليغ المبلغ الأستاذ محمد عبد الغني حسن .)

٭ هل عاصرت الكاتبة العربية مي ، وما هي ذكرياتك عنها ؟

نعم . عاصرت « ميا » ولقيتها مرارا واستمعت الى أحاديثها وخطبها ، وما أكثر ما كانت تؤلمني رؤية تلك النفس الحزينة التي كان الحزن يشع منها حتى في لحظات ابتسامتها . وكان بريق الذكاء من عينيها يحملك على توقيرها أما براعتها في الحديث فكانت تذهل كل مستمع . فهي حاضرة البديهة في أفكارها ، وقد أتاح لها اطلاعها الواسع أن تدير الحديث بدون توقف أو تعثر .

ولقد لقيت « ميا » وأنا طالب ناشيء في كلية العلوم ، ولقيتها وأنا عائد من بعثتي في فرنسا وانجلترا، فرأيت الزمان يأكل منها ومن ملاحة وجهها ومن نور عينيها كل يوم . ولما مات أبوها ، الياس زيادة صاحب جريدة المحروسة في سنة ١٩٢٩ عزيتها بقصيدة نشرت في الأهرام والمقطم في يوم واحد منهــا :

خلي الأسى والعذابا — فقد كفانا مصابا !
واجملي الصبر فيه — فالصبر أحلى ثوابا
يا مي صبرا اذا ما — أبوك حث الركابا
فغاية العيش أنا — نفارق الأحبابا
يا مي ! هذا عزاء — أقللت فيه الكتابا
فما تخطى مرامي — ولا تعدى الرغابا
نظمته لك شعرا — وكان قلبا مذابا ! !

ولما ماتت أمها في مارس سنة ١٩٣٢ عزيتها بقصيدة نشرت في الأهرام

منهـــا :

كفــي دمـوعـك لا تسحيها وكفــى ! فأنت عزاؤنا فيهـا
مـاتت .. وما ماتت محاسنها ذهبت ، ومـا ذهبت أياديها
أيتيمـة الأبوين ! تسليـة أفقيـدة الأبوين ترفيهـا

* ماهي ذكرياتك مع الأدباء الآخرين أمثال شوقي وحافظ والعقاد والمازني ؟

لقد أسعدني الحظ بمعرفة هؤلاء الأربعة والاتصال بهم والاستمتاع بأحاديثهم . عرفت شوقي وأنا طالب بدار العلوم ، وزرته بكرمة ابن هانيء مع صديقي الدكتور عبد العزيز عبد المجيد الأستاذ بمعهد التربية العالي . وقد سألني شوقي في زيارتي الأولى له عن اللفظ العربي لكلمة « قوالح » أو « كوالح » الذرة ، وهي ما تبقى من كوز الذرة بعد نزع الحبوب منه ، وتستعمل وقودا وعلفا للماشية ، فلم أعرف ، وظللت أبحث عنها الى اليوم فلم أعرف ولم أهتد الى لفظها العربي ، على الرغم من سؤالي الكثيرين عنه ! وقد سألت في ذلك الحين سنة ١٩٢٦ أستاذي المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري العالم اللغوي المشهور فلم يفدني بشيء . ولعلي أجد جوابا عند علامة لبنان اللغوي الشيخ عبد الله العلايلي الذي لم يسعدني الحظ بمعرفته الى اليوم ! وان كان صديقي العالم الجليل الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع اللغوي العلمي العربي بدمشق قد شفى نفسي بما كتبه في معجمه عن الألفاظ الزراعية ، فقد ذكر في صفحة ٤٠٦ من الطبعة الثانية (أن نبات الذرة من نبات أمريكي ، ولذلك لم تعرفه العرب ، وليس له ذكر في كتبهم) . وهو جواب أعتقد أن فيه الكفاية وشفاء النفس بما تجد . على أنني أود أن لا يكون تعرفي الى العلامة عبد الله العلايلي عن سبيل « قولحة ذرة » ! ولما جاءني نعي الشاعر شوقي وأنا في انجلترا سنة ١٩٣٢ رثيته بقصيدة نشرت في نوفمبر سنة ١٩٣٢ قلت فيها :

شوقي ! لقد خلفت في وطن المنى عينا مسهدة ، وجرحا مؤلما
من ذا يصوغ لها المعاني حلـوة معسولة الألفاظ حسناء اللمى !!
ذهب البيان كما ذهبت ، ولم يعد هيهات أن نلقى المضيع منكما

أما حافظ ابراهيم فقد عرفني به أستاذي المرحوم داود بركات ، وكنت ألقاه في مكتب أنطون الجميل بعد ذلك وأستمع الى أخباره وملحه وفكاهاته .

أما العقاد – عليه رحمة الله – فقد عرفته في ندوته بمجلة البلاغ الأسبوعي ، وكانت بميدان الأزهار بالقاهرة ، وكان ذلك سنة ١٩٢٤ قبل أن أنشر في الأهرام بثلاث سنوات . وقد لقيت في تلك الندوة الشعراء علي الجندي ، محمد الأسمر ، ومحمود غنيم ، وعبد العزيز عتيق ، والشاعر علي عبد العظيم ، وفايد العمروس وغيرهم .

* ما هي كتبك التي ألّفت ؟

قد يحتاج جواب هذا السؤال الى بيان طويل . فمن كتبي الأدبية : « الشعر العربي في المهجر » وهو من مطبوعات مؤسسة فرنكلين ، وقد أعيد طبعه ثلاث مرات و « معرض الأدب والتاريخ العربي » وقد طبع مرتين وقررته وزارة المعارف في مدارسها و « عبد الله فكري » و « حياة مي » و « من أمثال العرب » و « مي أديبة الشرق والعروبة » . ومن كتبي المترجمة : « المرأة والدولة في فجر الإسلام » وهو من منشورات المقتطف سنة ١٩٤٢ . ومن تحقيقاتي : « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي وقد صدرته بمقدمة تحليلية تبلغ مائة صفحة و «حلية الفرسان وشعار الشجعان» لابن هذيل الأندلسي ، وقد صنعت له فهارس كثيرة ، و « الشيخ محمد عياد الطنطاوي » وهو كتاب ألفه المستشرق الروسي أغناطيوس كرتشكوفسكي وقامت بترجمته الأديبة كلثوم عودة ، وقمت أنا بتحقيقه والتعليق عليه وضبطه بتكليف من المجلس الأعلى للفنون والآداب . ومن كتبي في سلسلة نوابغ الفكر العربي « ابن الرومي » . وفي مجموعة فنون الأدب : « الخطب والمواعظ » و « التراجم والسير » وهي من منشورات دار المعارف . ومن كتبي في مجموعة مع العرب « صراع العرب خلال العصور » وقد قررته وزارة التربية في المدارس و « علم التاريخ عند العرب » . ومن كتبي في مجموعة مع الاسلام « الاسلام بين الانصاف والجحود » و « القرآن بين الحقيقة والمجاز » . ومن كتبي في سلسلة اقرأ : « ملامح من المجتمع العربي » و « بطل السند » و « غرائب من الرحلات » . ومن كتبي في مجموعة مشاهير العرب : « موسى بن نصير » « وأبو مسلم الخراساني » . ومن كتبي في مجموعة قصص الرحالة والمكتشفين التي تصدرها دار المعارف بمصر ستة كتب عن جاما ، ورالي ، والكابتن كوك ، والكابتن سكوت ، ومنجوبارك ، وبيري . ومن كتبي في سلسلة المكتبة الثقافية التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي كتاب « الفلاح في الأدب العربي » .

* هل لك ذكريات مع أدباء خارج مصر ؟

نعم . من نعم الله علي أن لي صلات قوية مع كثير من الأدباء والشعراء والمفكرين خارج مصر بل خارج العالم العربي الكبير . وقد أسعدني الشاعر المهجري الكبير جورج صيدح بصداقته وشاعريته وبيني وبينه مفاكهات شعرية . وما أذكره من ذلك أنني بلغتني وعكته وهو في باريس في ديسمبر سنة ١٩٦٤ فكتبت اليه :

يـا أيها النازح الثاوي بخاطرنا والذاكر الود حتى لـو نسيناه
لو كنت تسألنا شيئا تصح بـه لما بخلنا بأغلى مـا ملكنـاه
أمـا ونحن على بعـد ومعجـزة فليكف منا دعاء صانك الله !

فرد علي بقصيدة منها :

(عبد الغني حسن) ان كنت تهواه أعطاك من فضله ما الله أعطـاه
عطفا ، ولطفا ، وشعرا لا كفاء له السحر معناه ، والابداع مبناه

ولي ذكريات ومطارحات ومناقشات عزيزة مع الأخ العزيز ألبير أديب صاحب « الأديب » الغراء والأستاذ الجليل محمد جميل بيهم ، والأستاذ الباحث الكبير أنيس المقدسي ، والأستاذ القانوني الفقيه فتح الله الصقال ، والأديب الرقيق الذواق عبد الله يوركي حلاق ، والكاتب المتفنن نظير زيتون الذي أهديت اليه نسخة من كتابي الأخير عن « مي » ومعه أبيات أقـول لـه فيهـا :

ذكـرى لقائك أمس هـا بنفسي دوي
أهـدي اليـك كتابي وأنـني لـحيـي
فمثـل سيلـك يهـدى اليـه سيـل أتـي
لكـن شفيعـي اليكـم شعري ، ونثري ومي

والحق أن نظير زيتون ممن بهرني لقاؤهم في مصر كما بهرني فيها لقاء جورج صيدح وأنيس المقدسي ومحمد جميل بيهم .

وقد خصني بفضلهم ولطفهم مـن أدباء الأردن الأديبان اللامعـان عيسى الناعوري ، ويعقوب العودات الملقب « بالبدوي الملثم » وفي الأول انصاف في بحوثه ، وفي الثاني وفاء شديد لإخوانه .

أما العالم الجليل الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي صاحب موسوعة « الغدير » فبيني وبينه مكاتبات ومراسلات كثيرة .

وأما في خارج العالم العربي فبيني وبين الدكتور المستشرق المسلم عبد الكريم جرمانوس مراسلات ومودة لا تنقطع ، وقد تفضل بالحديث عني في كتابه عن تاريخ الأدب العربي المكتوب باللغة المجرية .

* ماذا تفعل الآن ، وما الوظائف التي شغلتها ؟

كنت أول عهدي بالوظائف – وأثر عودتي من انجلترا وفرنسا – مدرسا بمدرسة المنصورة الثانوية ، فمدرسا بمدرسة الخديوي اسماعيل الثانوية ، فمديرا للإذاعة المدرسية ، فأستاذا بالمعهد العالي للتمثيل ، فمشرفا أدبيا بالجامعة الشعبية ، فمديرا عاما مساعدا للشئون العامة بوزارة التربية والتعليم سنة ١٩٥٤ ، فمفتشا عاما للتعليم الأجنبي والثانوي ، فمستشارا ثقافيا لمؤسسة المطبوعات الحديثة ، حيث استقلت من الحكومة لأكون مديرا عاما لتلك المؤسسة .

صناعة الخشب

معطياتها ومستقبلها

تنمو أشجار الماهوجني الى أحجام ضخمة ، وهذا الجذع الذي قطع من غابة (مندافاو) في الفلبين ، يعد للتصدير حيث تصنع الآلات منه قطع الأثاث المختلفة .

منذ زمن موغل في القدم ، زمن الانسان الأول وناره العارضة التي ذعر منها ، واصطلى بها وابتهج لها ، الى حرب طروادة ومراكبها ومجاديفها وحصانها الخشبي المشهور ، الى الفنيقيين وسفنهم التي مخرت عباب البحر لقرون خلت ، الى عصر النهضة الأوروبية ، مرورا بالرومانيين والقرطاجيين والحضارة الاسلامية ، وحتى يومنا الحاضر ، عرف الانسان الخشب واستعمله في شتى مجالات حياته : به أضرم ناره ، وللنار ما لها من فضل ، ومنه أقام قصوره وهياكله ، ولهذه ما لها من مجد ، وبألواحه بنى سفنه ، فتاجر وغزا واكتشف ، وعليه حفر انطباعاته ومرئياته صورا بديعة ظلّت شواهد فن عريـــق .

والخشب عطاء الأرض الخيرة ، وربيـــب غاباتها ، واكب نهضة الصناعة الحديثة ، وجاراها ، وخضع لها ، فقد تطورت معدات تصنيعه ، ووسائل الافادة منه . فتعددت أشكال استعماله ، وأصناف معطياته ، ولم يعد مجرد خامة بنـــاء .

في غابات العالم اليوم ، على امتدادهـــا وكثرتها ، لم يعد ضجيج تنازع الحيوان عـــلى البقاء وحده يقطع السكون ، فمن اسكندنافيا الى الفلبين ، تضج غابات الأشجار الصنوبرية والاستوائية بأصوات المناشير الكهربائية ومعدات نقل الأخشاب ، وتعج بحركة دائبة مستمرة . وفي المدن القريبة تهدر معامل تصنيع خامات الخشب ليل نهار ، لتؤمن من المنتجات ما يسد متطلبات العالم المتزايدة أبدا .

ومع أن الاسمنت ، وبعض المعادن ، أخذت تحلّ محلّ الخشب في معظم أشكال البناء ، إلا أن آلافا من استعمالات الخشب العادية بقيت على حالها ، بل ان آلافا أخرى جديدة قد عرفت أيضا ، مما يكرس الخشب كمادة مهمة ، لها دورها الأساسي في بناء حضارة الانسان .

وخلال تاريخ البشرية ، اعتمد الانسان على الخشب كضرورة رئيسية في شتى نواحي حياته ، فقد ظل الانسان القديم يرتعد في كهفه بردا وقرّا حتى اكتشف النار التي أحدثها صدفـــة احتكاك الخشب الجاف بعضه ببعض ، ثم فطن بعد ذلك الى أن يبني من الخشب ما يؤويه خيرا من الكهوف المظلمة الباردة ، فكانت البيوت ، وكان فن البناء . وأراد أن يتنقل ، وكان لا يقوى على وعورة الطبيعة من حوله ، فبنى من الخشب ركوبته ، فكانت العربات . وأراد أن يجتاز الأنهار والبحيرات ، وكان لا يقوى على السباحة الطويلة المرهقة ، فبنى مـــن الخشب ما يجتاز به تلك الأمكنة ، فكانت القوارب والسفن . وزرع ، فكان الخشب أساس كل معدات زراعته ، فاستقرّ ، وبدأ يسير في طريق التحضر والحضارة .

وفي عهد روما القيصرية ، وكانت ذات شأن حضاري عظيم ، كانت ميزة الخشب كمادة سهلة التحويل الى أشكال مختلفة ، قد عرفت تماما ، وكانت كل محصولات الأشجار معروفة أيضا ومستغلة . وقد كتب عالم الطبيعة الروماني « بلني » : « ان للأشجار ألف استعمال كل واحد منها ضروري جدا لجعل حياة الانسان ممتعـــة » .

وتعتبر قصة حضارة الانسان ، تاريخا لحياته كباني سفن وبحّار . وقد استغل أرز لبنان في بناء سفن صيدا وصور وأساطيلهما التي مخرت عباب البحر الأبيض المتوسط وما وراءه مـــن بحار كانت مجهولـــة ، وبعد ذلك بزمن ظـــلّ الأثينيون يعتبرون أهم بنّائي السفن لحقبة طويلة ، ثم نقل الرومانيون بدورهم تلك الصناعة عـــن أعدائهم القرطاجيين فسيطروا بسفنهم على البحار . وفي الشمال كان « الفايكنغ » سادة البحار السبعة دون منافس ، اذ سيطروا عليها بسفنهم الخشبية .

ولا يزال الخشب يعتبر ذا أهمية قصوى في حقل الانشاء والتعمير . ففي البلدان الغنيـــة بالأخشاب ، تبنى البيوت بكاملها منه باستثناء المداخن والمواقد ، أما حيث يكون صعب المنال فإن كميات لا بأس بها منه تدخل في صنع أجزاء من البيوت وفي أغراض شتى غـــير ذلك .

وقد لفت لون الخشب وتركيبه الفريد أنظار فناني العالم في مختلف العصور ، وتعرض المتاحف والمعارض الفنية ، الى اليوم ، منحوتات ومحفورات خشبية ، تعتبر بحق من روائع الفن والجمال .

للخشب آلاف أنواع الاستعمالات الأخرى ، وفي بعض الحالات ، تبلغ أرقام ما يصنع من نوع واحد منها كأقلام الرصاص مثلا أو عيدان الكبريت عدة بلايين كل سنة .

واذا كان استعمال الخشب بشكله الطبيعي قد بلغ ذروته في مطلع القرن العشرين ، فإن الطلب عليه كمادة خام لصناعة الورق ومختلف أنواع أخشاب الأثاث والبناء والعديد من منتجاته الأخرى ، قد ارتفع كثيرا في منتصف هـــذا القرن ، فمن عام ١٩٥١ الى عام ١٩٦١ م ازداد انتاج الخشب واستعماله بنسبة ٢٥ في المائة ، ويتوقع ، في عالم يتضاعف عدد سكانه كل خمسين عاما ، أن يزداد الطلب على الخشب ازديادا مطردا ، وتقدر منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة أن العالم سيحتاج حتى عـــام ١٩٧٥ الى ١,٧ بليون متر مكعب من الخشب ، أي بزيادة مقدارها خمسون في المائة على ما احتاجه في مطلع هذا القرن .

ولمواجهة هذه الزيادة الملحوظة ، كان لا بد من تطوير أساليب صناعة منتجات الغابات ووسائل استغلالها القديمة التي كانت تعوزها المهارة العلمية والفنية ، سيما وأن البحوث العلمية والمنجزات التقنية قد أدت الى اكتشاف ما يزيد على خمسة آلاف من منتجات الغابات الجديدة .

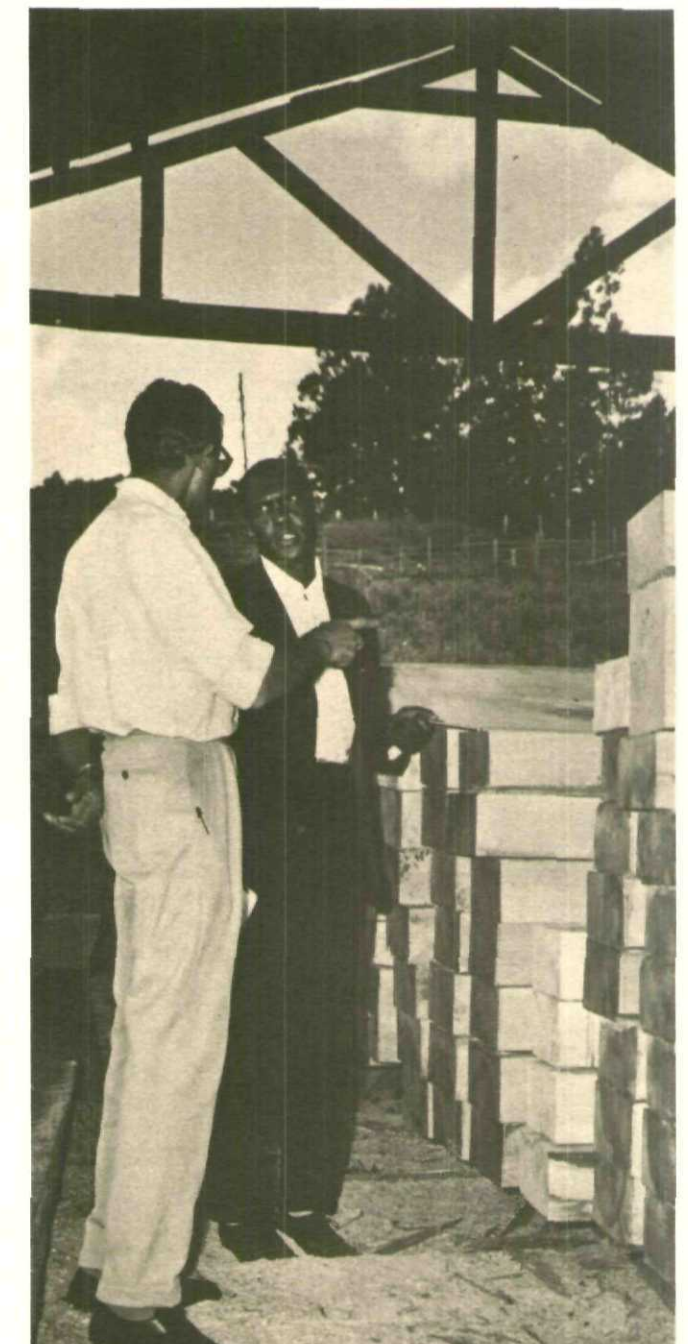
تغطي الغابات ثلاثين في المائة من مساحة أرض العالم ، ولكن ما يستغل منها حاليا لا يتعدى الثلث ، مع العلم أن الآلات الحديثة استطاعت أن تذلل الكثير من المصاعب التي كانت تحول دون استغلالها بشكل اقتصادي مثمر .

وقد شاركت بلدان كثيرة في تطوير صناعة منتجات الغابات ، فاستراليا مثلا قدمت ما يعرف بزلاقة الخشب (Log Chute) ، بينما قامت سويسرا باجراء تجارب كثيرة لاستعمال الأسلاك المعلقة في تحميل الأخشاب ونقلها ، كما صنع الخشابون الأمريكيون آلة ضخمة (Bull Donkey) تجـــر الأخشاب الى مسافات بعيدة بواسطة أسلاك آلية الحركة . وتشير المراجع الى أن الجرارات ، وتراكتورات الجنزير قد استخدمت منذ الثلاثينيات من القرن الحالي في الغابات الاستوائية ، فأثبتت بذلك فعاليتها وقدرتها على اختراق الغابات وتحميل كميات كبيرة من الأخشاب ونقلها دون الحاجة الى شق الطرق كما ساهمت الطائرات العمودية أيضا في هذا المضمار ، لا سيما في المناطق الجبلية الوعرة التي يتعذر الوصول اليها بدونها .

ومما ساعد على تطور هذه الصناعة آليا ، توفر منتجات البترول حتى في أكثر الغابات وعورة ، ففي الفلبين ، حيث تنتج أخشاب « الماهاجوني » ، تعمل آلات خاصة ضخمة ، تحتـــاج الى مشتقات الزيت لتشحيمهـــا وتسييرها .



يبلغ عمر هذه الأشجار التي تنمو في نيوويلز الجنوبية في استراليا ، ١٠
عاما ، وهي تحمل بعد قطعها بواسطة تراكتورات ضخمة تستطيع الوصول الى أماكن
قطع الأشجار دون صعوبة .



ينتج مصنع «ماجي مازوري» للخشب في كينيا ١٢٠٠٠ طن سنويا ، وهو يعتمد على منتجات البترول في تشغيل آلاته ومعداته .



باني سفن من البحرين يستعمل خشب «الساج» المستورد من بلدان الشرق الاقصى في بناء هذا المركب .

وتعتبر صناعة منتجات الغابات ، صناعة أساسية في اقتصاد العالم الحديث ، فهي تنتج ستة في المائة من مجموع الانتاج الصناعي العالمي ، وتوظف ثمانية في المائة من مجموع الأيدي العاملة في العالم ويبلغ ما تدره من أرباح حوالي أربعين بليون دولار كل عام حسب تقريرات الأمم المتحدة .

وتعتبر الورق الذي يرجع الفضل في اختراعه الى العالم الصيني «تساي لن (Ts'ai Lun) عام ١٠٥ قبل الميلاد من أهم منتجات هذه الصناعة الحيوية . فالعالم اليوم، لا يستغني عن الورق في شتى الأغراض كاصدار كتبه وجرائده ومجلاته وكل ما يحمل الكلمة المعلّمة والمسلية الى ملايين الناس في كل بقاع الأرض . وهو الذي يجعل ميلادنا رسميا ، وهو الذي حفظ حضارتنا من الضياع ، على مر القرون . وتنتج الغابات كل عام ما يقارب من ٧٥ مليون طن من لب الشجر ، بينما يبلغ ما تستهلكه المطابع من ورق الجرائد فقط حوالي سبعة عشر مليون طن سنويا ، هذا بالاضافة الى ملايين الاطنان التي تستهلك في أغراض أخرى مطبعية ، وغير مطبعية .

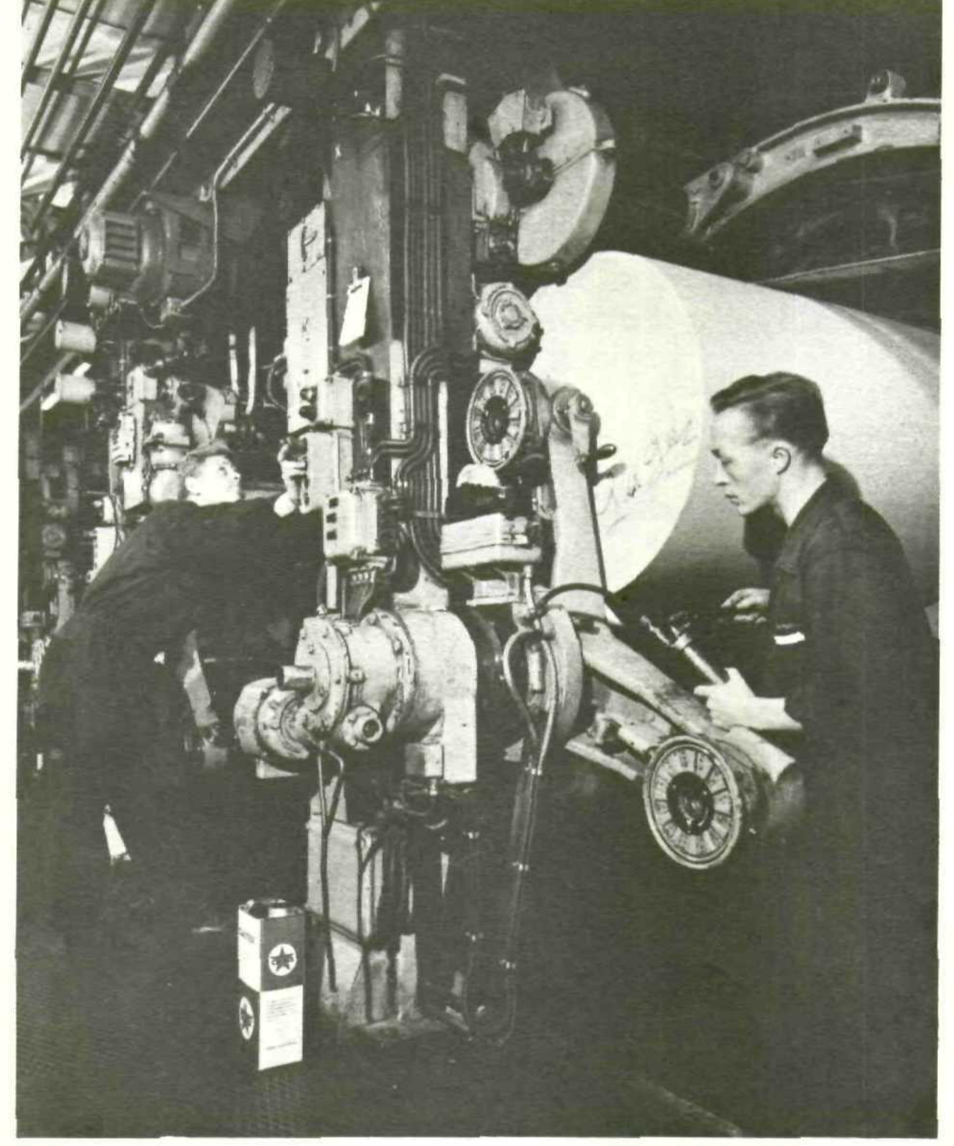
ولكن الناحية الأكثر أهمية في صناعة منتجات الغابات ملقاة الآن بين يدي البحاثة الكيماوي الذي يكب في معمله على اضافة مركبات كيماوية جديدة ، تستخرج من الخشب ، الى قائمته التي تحوي مالا يقل عن ٢٦٠٠ نوع استخرجت كلها من النشارة أو من لحاء الشجر أو من فتات الخشب وبقايا السوائل التي تستعمل في تصنيع اللب ، أو من مصادر أخرى . والجدير بالذكر أن الكثير من هذه المركبات الكيماوية ينتج الآن بكميات تجارية ، كحامض الاستيك ، والميثانول ، وحامض البروبونيك ، والأسيتون الميثيلي ، وهذه كلها مركبات كيماوية أساسية ، ولها استعمالات شتى .

وأثناء عمليات التقطير المختلفة التي تدخل في تصنيع الخشب ، يستخلص الاسفلت والقطران والريون والسيلوفين والسليلويد ومادة أفلام التصوير ، بينما يستفاد من اللجنين وهي مادة شبه صمغية تكسب الأشجار خاصية التماسك في استخلاص البلاستيك (اللدائن) وبعض مواد الصبغ والورنيش والأدوية والأسمدة وبعض مواد أخرى تستعمل في بناء الطرق ، هذا بالاضافة الا أن بعض المركبات الكيماوية المستخرجة من الخشب تدخل في صناعة الأغذية ، فالفانالين مثلا يستعمل في صنع نكهة الفانيلا المعروفة ، كما يستخلص من النشارة بعض أغذية المواشي . وحتى لحاء الشجر الذي كان يستعمل كوقود فقط ، تستخرج منه الآن مواد كيماوية لتغذية النباتات ، لها خاصية الذوبان السريع في الماء .

ان الستة عشر مليون ميل مربع من غابات العالم تعتبر بحق مصدر ثروة عظيمة ، ولكنها مجرد بقية ضئيلة من غابات واسعة ، ترعرعت لقرون خلت . وتضافر جهل الانسان البدائي ، وتحضر الانسان المتقدم على استهلاك الكثير من أخشابها ، وبالتالي على ضمور مساحتها ، مما جعل المعنيين بهذه الصناعة يكرسون جهودهم وطاقاتهم للحفاظ على هذه البقية وتوسيعها بشتى الطرق والوسائل . لذلك ألفت الكتب العلمية في هذا الموضوع ، وأصبح الخشابون يستفيدون من كل قطعة خشب يقطعونها ، وساعد العلم على مكافحة الحشرات ، عدو الغابة اللدود ، وكفلت الطرق الفنية الحديثة والأساليب العلمية والتقنية استمرار حياة الغابة البرية بزرع أشجار جديدة تفوق ما يقطع عددا ، لتكون غابات المستقبل، التي يؤمل منها عطاء خيرّ مستمر .

حكمت حسن

باذن خاص من مجلة
«أويل لايف ستريم أوف بروقرس»



تعد صناعة الورق من أهم منتجات صناعة الخشب ، ويبدو في الصورة جانب من مصنع للورق في النرويج .

أيام لها ما بعدها

تعكس لنا صفحات التاريخ صورا جليلة عن معارك وبطولات سجلها أربابها بأحرف من ذهب ، تلك البطولات هي التي كان لها أكبر الأثر في توسع أطراف الدولة الاسلامية وانتشار الدعوة السمحاء في مختلف أرجاء العالم .

انها معارك الحق على الباطل ومعارك الايمان والعقيدة ، ومن كان على حق فلابد أن تكون النصرة له حتى ولو كان خصومه أكثر عدة وعددا ، فمن يحارب من أجل عقيدة يتفانى ويستسهل الموت في سبيلها وفي سبيل اعلاء شأنها . لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مثل للبطولة إذ كان المسلمون لا يركبون لقتال إلا ويركب صلى الله عليه وسلم أمامهم يستصرخ هممهم ويستحثهم على الاستبسال وبذل الروح في سبيل الله محببا اليهم الشهادة ومبينا لهم أن كل من مات شهيدا فالجنة مأواه ، ومواقفه في موقعتي بدر وأحد هي خير دليل على ذلك . قال تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

حرب الردة

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثار الكثير من أعراب البادية بنجد واليمن وحضرموت وعُمان ، خاصة أولئك الذين كانوا يقيمون بعيدا عن مقر الخلافة ، فلم يتشبعوا بالدعوة الاسلامية ولم يتأثروا بتعاليمها قدر تأثر أهل المدينة المنورة ومكة المكرمة والأماكن المجاورة لهما ، وذلك نظرا لصعوبة المواصلات ، الأمر الذي جعلهم على غير اتصال بالرسول الكريم . وقد بين القرآن الكريم ذلك في سورة الحجرات « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » . فعندما وافت المنية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تخلى عدد كبير من هؤلاء الأعراب عن ركن مهم من أركان الإسلام وهو الزكاة . على أن الأمر لم يقتصر على الزكاة وحدها بل تعداه بعضهم الى اعلان القتال والتمرد والعصيان ، أو ادعاء النبوة . فما كان من الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الا أن أرسل للمرتدين جيوشا لمحاربتهم بقيادة خالد بن الوليد ، فهزمهم شر هزيمة .

مما سبق تتضح لنا قوة عزيمة أبي بكر رضي الله عنه في بعث الجيوش لمحاربة المرتدين وفي عقده الألوية . فقد أرسل أحد عشر لواء الى مختلف الجهات الثائرة ، اشتبكت معهم في معارك عدّة انتصر فيها المسلمون وحملوا المرتدين على الخضوع والتسليم والدخول في دين الله . وبذلك توحدت أجزاء الجزيرة العربية ورسخ الدين الاسلامي في قلوب ابنائها فشملهم بالمحبة والأخوة ، وتم لهم النصر المبين بقوة الايمان ووحدة الصفوف (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) . كذلك يجب ألا ننسى الدور الذي قام به خالد بن الوليد في هذه الحروب ، اذ قاد معظم هذه الجيوش وأخضع عددا كبيرا من القبائل الثائرة المرتدة . فكانت شبه الجزيرة كالنار التي هاجت حينما شعرت بفقد الرسول الكريم فأطفأها الصدّيق قبل أن تنقضي سنة على وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

موقعة اليرموك

لما كان الدين الاسلامي حريصا على نشر روح المحبة والمودة بين الناس ، كان لزاما على الروح الحربية العربية التطلع الى ميدان جديد تستثمر فيه خبراتها في القتال ، لصالح هذا الدين الحنيف . فكان أول احتكاك للعرب مع الروم في موقعة مؤتة التي تعتبر الموقعة الوحيدة التي دارت رحاها بين جيش النبي عليه الصلاة والسلام وجيش الروم ، وفيها قتل القائد زيد بن حارثة ، وقفل جيشه عائدا الى المدينة المنورة . وحينما استتب الأمر لأبي بكر الصديق رضي الله عنه أمر بتجهيز أربع سرايا لفتح بلاد الشام ، الأولى بقيادة عمرو بن العاص ووجهتها فلسطين ، والثانية بقيادة يزيد بن أبي سفيان ووجهتها دمشق ، والثالثة والرابعة بقيادة شرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة عامر بن الجراح ووجهتهما الأردن . وبينما كان يزيد في طريقه الى الشام اصطدم بجيش الروم في وادي عربة جنوبي البحر الميت وانتصر عليه وجعله يتراجع نحو غزة . الا أن مواقع الروم الاستراتيجية كانت عقبة في طريق تقدم جيوش المسلمين نحو الشام فاستطاعوا أن يعيقوا سير حملاتهم في مواقع أخرى ، الأمر الذي حدا بأبي بكر رضي الله عنه الى استدعاء خالد بن الوليد من العراق لنجدتهم ، فلم تمض سوى فترة وجيزة حتى كان خالد يقطع البيد ويفاجيء مؤخرة جيش الروم ويهزمهم شر هزيمة ، ثم انضم بعدئذ الى الجيوش الاسلامية التي

كانت قد هزمت الروم في موقعة أجنادين واستولت على فلسطين . وحينما قدم خالد بن الوليد لنصرة جيوش المسلمين وجدهم يقاتلون متفرقين ، فأشار عليهم بأن يقاتلوا متحدين ، فعملوا بمشورته وأسندوا أمر القيادة اليه . فلجأ الى تنظيم الجيش تنظيما لم يعرفه العرب من قبل اذ قسمه الى ثمانية وثلاثين « كردوسا » ، وكان كل « كردوس » يزيد على ألف محارب ، وجعل للجيش مقدمة ومؤخرة وقلبا وميمنة وميسرة ، ثم شن حملاته المتواصلة على المدن البيزنطية وفتحها الواحدة تلو الأخرى حتى وصل الى دمشق وفتحها سنة ٦٣٥م بعد حصار دام ستة أشهر . وحينما علم « هرقل » بفتح دمشق على يد المسلمين ، جهز جيشا ضخما بقيادة أخيه « ثيودورس » وأرسله لمحاربة العرب . فالتحم الجيشان على ضفة نهر اليرموك ، بعد أن أخلى خالد دمشق مؤقتا لعدم حصانة موقعها . وأثناء الموقعة ، تسلم خالد كتابا يتضمن خبر وفاة أبي بكر وخلافة عمر رضي الله عنهما وعزله هو عن امارة الجيش وتولية أبي عبيدة مكانه . فحمل خالد الكتاب سرا الى أبي عبيدة كيلا تقع البلبلة بين صفوف الجنود . وبعد انتهاء الموقعة بانتصار المسلمين ، اذاع خالد النبأ وانضم الى صفوف المسلمين يحارب كجندي عادي في الميدان .

وكانت معركة اليرموك التي وقعت سنة ٦٣٦م، المعركة الفاصلة بين العرب والروم ، اذ طرد الروم من بلاد الشام فتقوضت أركان دولتهم هناك . فكان للسرعة الفائقة والتكتيكات الحربية التي استولى بها المسلمون على هذا الاقليم أثر كبير في بسط نفوذ العرب وفي بعث الثقة في أنفسهم فاتخذوا الشام عاصمة للخلافة ومنها خرجت جيوشهم الى أقاصي أوربا كاسبانيا وشمالي أفريقيا لفتحها ونشر الدعوة في أرجائها .

معركة القادسية

مثلما كانت وقعة اليرموك سببا في سقوط الشام في أيدي المسلمين ، واجلاء الروم عنها ، كذلك كانت وقعة القادسية سببا في استيلائهم على العراق واجلاء الفرس عنها عام ٦٣٧م . على أن فتح العراق لم يتم بالسهولة التي تم بها فتح الشام ، اذ قضى المسلمون زهاء عشرة أعوام في محاربة الفرس . وكانت هذه الحرب عبارة عن مناوشات دارت رحاها بين جيش المسلمين بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني وجيش الفرس . وأول مدينة انتزعها المسلمون من يد الفرس هي الحيرة في عام ٦٣٣م ، ونتيجة لذلك ، جمع الفرس جموعهم وهاجموا جيش العرب في معركة « الجسر » التي أسفرت عن استشهاد نحو أربعة آلاف مقاتل من المسلمين بين غريق وقتيل . بيد أن هذه الهزيمة لم تفت في عضد المسلمين أو تثبط عزمهم اذ سرعان ما بعث اليهم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالامدادات واشتبكوا مع الفرس في معركة « البويب » على الفرات وانتصروا عليهم . وهنا أعد الفرس لقتال العرب جيشا ضخما بقيادة « رستم » أقدر قوادهم . فقابلهم سعد بن أبي وقاص قائد جيش المسلمين وقتئذ ، وحاربهم حربا لا هوادة فيها في القادسية . وقد استخدم الفرس في هذه المعركة الفيلة التي أخافت خيل المقاتلين المسلمين وفرقت جموعهم . لكن المسلمين استبسلوا في قتالهم وأخذوا يرمون الأعداء بالنبال ، وفي الوقت نفسه عمدوا الى سمل أعين الفيلة بالرماح الأمر الذي أدى الى هزيمة الفرس . وقتل قائدهم « رستم » . وقد دامت معركة القادسية ثلاثة أيام ، قاتل فيها المسلمون قتال الأبطال حتى تم لهم النصر وفتحت أبواب مدن العراق أمام قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص ، فضمها الى الامبراطورية الاسلامية ونشر الدعوة فيها . وقد عبر عن هذا النصر الشاعر بشر بن ربيعة بالأبيات التالية :

تحن ببـاب القادسية ناقتي ... وسعد بن وقاص علـيّ أمير
وسعد أمـير شرّه دون خيره ... طويل الشذى كابي الزناد قصير
تذكر هداك الله وقـع سيوفنا ... ببـاب قديس والمكر عسير
عشية ود القوم لو أن بعضهم ... يعار جناحـي طائر فيطـير

كما نظم الشاعر عصام بن المقشعر في وصف هذه المعركة أبياتا قال فيها :

فلو شهدتني بالقوادس أبصرت ... جلاء امرىء ماض اذ القوم أحجموا
أضارب بالمخشوب حتى أفلـه ... وأطعن بالرمـح المتل وأقـدم

فتح المدائن

بعد موقعة القادسية مضى سعد بن أبي وقاص الى المدائن عاصمة الفرس آنذاك ، فعبر نهر دجلة الى الضفة الشرقية حيث اشتبك مع الفرس في مدينة « بهر سير » وفتحها . وحينما علم « يزد جرد » ملك الفرس بذلك ، أركن الى الهرب من المدائن ، فدخلها سعد وفتحها دون مقاومة من أهلها . وقد بالغ المؤرخون في وصف الغنائم التي غنمها المسلمون من الفرس ، ومن ذلك ما ذكره البلاذري في وصفه للبساط الذي أرسله سعد هدية للخليفة عمر رضي الله عنه : « بساط طوله ستون ذراعا فيه طرق كالصور وفصوص كالأنهار ، وحافتــه كالأرض المزروعة والأرض المقبلة بالنبات في الربيع ، وفيه قضبان من الذهب والفضة . » فلما ورد البساط على عمر قال : اشيروا علي في هذا القطف ، فرد عليه علي رضي الله عنه بقوله : « يا أمير المؤمنين ان تقبله اليوم لم تعدم غدا من يستحق به ما ليس له . » فقطعه عمر بين القوم .

فتح الفتوح

وجمع « يزد جرد » جنود الفرس من جديد في « نهاوند » ، على أمل محاربة العرب واسترداد ملكه . فما كان من الجيوش العربية الا أن لاحقته الى « نهاوند » حيث نشبت بين الجيشين معركة حامية الوطيس ، أسفرت عن نصرة العرب على الفرس ودخولهم نهاوند في عام ٦٤١م . وقد أطلق المسلمون على معركة نهاوند اسم « فتح الفتوح » لأنها كانت آخر معركة كبرى خاضوها ضد الفرس في العراق وبانتهائها تداعى صرح دولة الفرس هناك .

فتح اسبانيا

كانت جيوش المسلمين قد بسطت سلطانها على شمال افريقيا واستقرت في تلك العدوة التي لا يفصلها عن الأندلس الا مضيق جبل طارق . وقد تم فتح شمال افريقيا بعد استشهاد عدد كبير من الجنود والقواد المسلمين . وبعد جهاد طويل مع البربر ، سكان البلاد الأصليين ،

استمر منذ عهد الخليفة عمر ، رضي الله عنه ، حتى عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك . أما عن فتح اسبانيا ، فنكتفي بذكر اسم والي افريقيا في ذلك العهد ، موسى بن نصير ، الذي ثبت أركان الدعوة الاسلامية هناك وحمل لواءها من شمال افريقيا الى المحيط الأطلسي . ولا شك في أن موسى بن نصير كان يتطلع الى فتح أسبانيا ، حينما تقدم اليه « يوليان » حاكم « سبتة » وعرض عليه تسليمه « سبتة » ومساعدته في فتح اسبانيا . فقبل ابن نصير هذا العرض السخي دونما تردد . بيد أنه كان لعرض « يوليان » هذا أسباب تعود الى وجود الضغائن الشخصية بينه وبين « لذريق » ملك « القوط » وحاكم اسبانيا آنذاك . وكانت « سبتة » ولاية افريقية تابعة « للقوط » ، ومن الحصون المنيعة التي لم يستطع المسلمون اخضاعها كبقية المدن الأفريقية . كما كانت تشكل ثغرا مهما يطل على مضيق جبل طارق ، ويمكن أن يستخدم في العبور الى جنوبي اسبانيا . فاغتنم موسى بن نصير فرصة هذا العرض ، وأرسل « طريف بن مالك » ، أحد قواده ، على رأس قوة صغيرة للاستكشاف والتأكد من نوايا « يوليان » . فنزلت جيوش المسلمين في جنوبي شبه الجزيرة الايبارية ، وتأكدت من الأمر لتعود الى القائد موسى بن نصير بما طمأن قلبه وزاد من رغبته في الفتح . فأرسل جيشا كبيرا بقيادة مولاه طارق بن زياد ، فعبر المضيق الذي سمي باسمه فيما بعد على سفن « يوليان » . وقد أرسل « يوليان » مع طارق جماعة ترشده الى الشاطىء الاسباني . ونزل طارق الأراضي الاسبانية وهزم الحاميات التي تعرضت له ، حتى وصل خبره الى ملك القوط الذي كان منهمكا في اخضاع بعض القبائل المتمردة في الشمال ، فأسرع بالعودة ، وأعد جيشا كبيرا لملاقاة الفاتحين . وفي سهول « شريش » قرب مدينة قادس التقى الجيشان في معركة كبيرة انتهت بانتصار المسلمين وتشتيت جيش « القوط » رغم تفوقه في الرجال والعتاد . ففتح طارق قرطبة وغرناطة ومالقة وغيرها من المدن ، كما فتح « طليطلة » العاصمة وأسس فيها دولة المسلمين على أنقاض دولة « القوط » . وفي العام التالي عبر موسى بن نصير المضيق ونزل في الجزيرة الخضراء ، وسار في طريق آخر غير الذي سلكه طارق وأخضع في طريقه عددا من المدن والأقاليم التي لم تكن قد خضعت لطارق من قبل ، مثل « شذونة » و « اشبيلية » و « ماردة » حتى وصل الى « طليطلة » العاصمة والتقى بجيش طارق .

وهكذا دخل المسلمون شبه جزيرة « ايبريا » وأقاموا فيها دولة لهم دامت قرابة ثمانية قرون . بيد أن أمر الفتح لم يقتصر على شبه الجزيرة فحسب بل تطلعت أنظار المسلمين الى ما وراء سلسلة جبال « البرينيه » الفاصلة بين اسبانيا وغاليا (فرنسا) ، فقامت سرايا من المسلمين بغارات على « غاليا » واحتلوا « نربونة » و « برشلونة » أيام حكم عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ثم توغلت هذه القوات الاسلامية فيها حتى احتلت « افينيون » ، وتابعت تقدمها في وادي « الرون » فاحتلت مدينة « ليون » . عندئذ تنبه حكام « غاليا » للخطر الاسلامي فحصنوا وادي الرون ، واستعدوا لملاقاة جيش المسلمين بقيادة السمح بن مالك الخولاني الذي اخترق جبال « البرينيه » وزحف الى « تولوز » قاعدة مملكة الفرنج الجنوبية وحاصرها . الا أن دوق « اكيتانيا » استطاع فك الحصار بعد معركة حامية خاضها مع المحاصرين وقتل فيها السمح بن مالك .

وبعد ذلك تولى قيادة جيش المسلمين القائد المغوار ، عبد الرحمن الغافقي ، الذي برز اسمه أثناء غزو المسلمين لفرنسا ، فحقق للمسلمين النصر المبين . وبعد سنوات ، تعاقب على الأندلس ولاة عديدون حتى ولي عبد الرحمن الغافقي نفسه عليها عام ٧٣١م ، فأخذ يستعد لغزو أراضي « غاليا » . فحشد قواته في « بامبلونا » الواقعة جنوبي جبال « البيرنيه » في صيف ٧٣٢م وأحاط هذه العملية بكتمان شديد ، فاجتاز جبال « البيرنيه » من ممرات « رونسيسفال » . فكان جيشه أكبر جيش اسلامي يجتاز تلك الجبال آنذاك ، ويقال أنه كان مؤلفا من أربعين ألفا ويقال من ثمانين ألفا .

دخل المسلمون فرنسا ، وتوجهوا رأسا نحو « بوردو » على نهر « الدوردينا » ، في منطقة غير بعيدة عن مصبه هزموا فيها دوق « اكيتانيا » . بعد ذلك دخل الغافقي « بوردو » واستولى عليها ثم تابع تقدمه نحو الشمال . وفي هذه الأثناء استنجد دوق « اكيتانيا » بشارل مارتل الذي بادر الى حشد جيش كبير وسار على رأسه لمواجهة العرب المتقدمين فاستطاع الوصول الى « تور » قبل أن يحتلها المسلمون . وبعد ذلك تابع سيره متجها نحو الجنوب فالتقى بطلائع المسلمين في نقطة تقع على بعد عشرين كيلومترا الى الشمال الشرقي من « بواتييه » حيث وقعت عام ٧٣٢م المعركة التي دعاها العرب باسم « بلاط الشهداء » واستشهد فيها الغافقي . وكانت هذه المعركة في الأيام الثمانية الأولى لصالح المسلمين ، الا أن الفرنج استطاعوا فتح ثغرة في المعسكر الاسلامي فدب الخلل في صفوفهم مما اضطرهم الى التراجع ليلا . وفي صباح اليوم التاسع لاحظ جيش الفرنجة سكون المعسكرات العربية ، فاقتربوا منها وهم خائفون فوجدوها خالية الا من الجرحى وما ثقل من الغنائم ، ولم يحاولوا أن يلحقوا بهم لخوفهم من وجود كمين لهم في الطريق .

ولا شك في أن معركة بلاط الشهداء كانت نقطة تحول في تاريخ العرب والمسلمين حيث يقول المؤرخ البريطاني « ادوارد جيبون » : « وامتد خط الظفر مدى ألف ميل من صخرة طارق الى ضفاف نهر « اللوار » ، وقد كان اقتحام مثل هذه المسافة يحمل العرب الى حدود « بولونيا » وربى « اسكتلندا » . فليس « الراين » بأمنع من النيل والفرات ، وربما كانت أحكام القرآن تدرس الآن في معاهد اكسفورد » .

لقد كان للعرب سمعة طيبة لدى البلدان التي افتتحوها ، لما عرف عنهم من الوفاء بعهودهم والعدل في حكمهم حتى شهد لهم بذلك أهل ذمتهم كبيرهم وصغيرهم . ويقول بعض المؤرخين أن ارتباك الدول التي حاربها المسلمون كان سببا في نيلهم هذا الفوز السريع . وكان يمكن أن يكون هذا سببا لو كانت الارتباكات منعت تلك الدول من حشد الجنود وتحصين الثغور فكان في ذلك فرصة لمن يغزوهم . أما وقد حشدوا ذلك العدد الجسيم مسلحا منظما معبئا أعظم تعبئة ، فلا بد أن يكون هناك سبب أو دافع أكبر . هذا الدافع يكمن في الجندي المسلم الذي كان يخوض المعارك وقلبه متأثر بأمرين ، ايمانه بأن العاقبة له وأن الجنة مثواه ، كما ورد في القرآن الكريم ، وثقته بنفسه واعتداده بها ، فقد كان العربي يحارب ، وفي نفسه أمران : اما الاستشهاد وحسن العاقبة ، أو الفوز واعلاء شأن دينه في دنياه . أضف الى ذلك حنكة القواد المسلمين الذين أوصلوا السفينة الى مرساها بحكمة وحسن دراية .

فريال محمود قطان

لقاءٌ .. وفراق



للشاعر غازي القصيبي

اتركينا قصة مبتورة دون نهاية
ودعينا مبهما سرا خرافات حكاية !

* * *

التقينا .. فجأة .. في زحمة الدرب .. التقينا
والتفتنا .. ونظرنا .. وابتسمنا .. ومشينا
لمحة ساحرة .. شاعرة .. مرت علينا
فسعدنا وشقينا وضحكنا .. وبكينا

* * *

أتراها ومضة عابرة تبرق حينا ؟
أم عساها شعلة الحب التي تحيا سنينا ؟

* * *

التقينا .. ضمّنا شيء شبيه بالضّياع
رحلة في عالم الفرحة طارت بالشراع
والتفتنا .. وعلى أعيننا ومض شعاع
قبل أن نلمح في أفق المنى .. فجر الوداع

* * *

في الصباح غبت عن عينيك مجنون الألم
يا جراحي ليتنا نغرق في هذا الخضم !

* * *

افترقنا .. كنت في الميناء .. اوّاه ، وحيده
عندما شدت مجاذيفي المحيطات البعيده
عندما خلفت في عينيك أحلامي السعيده
عندما سطرت فوق الريح أبيات قصيده

* * *

امنحيني بسمة تعبر أهوال السفر
واذكريني كلّما غرّد لحن للقمر

* * *

افترقنا .. مثلما ودع طلّ الفجر زهره
مثلما فارق عصفور بريء الريش وكره
مثلما فرت من العينين ، رغم الكبر ، عبره
مثلما حطت على الرمل .. وغاصت فيه .. قطره

ثمارُ القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي

تحقيق الأستاذ : محمد أبو الفضل ابراهيم

عرض وتعليق الأستاذ : أبو طالب زيان

لا يخامر الدارس شك ، في مدى المعاناة والجهد والصبر الذي يتعرّض له المتصدّي لتركة العربية وموروث الثقافة والفكر ، وما زخرت به اللغة من صنوف المعرفة والعلم .

ولا نعدو الصواب أو نجاوز الحق ، اذا عددنا الباحث العالم الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم في مقدمة الذين شغلوا بهذا التحقيق ، وخبروا حلوه ومرّه ، وتمرسوا على تمرده ، واعوجاجه ، حتى استقام له ما لم يستقم لغيره ، وتطامن أمام عينيه ، واستسلم حيال علمه ويديه ، ما نفر أمام غيره من البحاث ، ووقف للتحدّي ، وأبى الاستسلام .

وتجارب الأستاذ أبو الفضل في تحقيق التراث ، أجلّ من أن تحصى ، وأكبر من أن تعدّ ، اذا عرفنا أن هذا الباحث قد انفرد أو شارك في تحقيق ما يزيد على الخمسين كتابا ، هي عمره اذا حسبت أعمار الرجال بالانتاج ، وهي أولاده ، الذين ينتسبون اليه شفاعة يوم تكون الشفاعة بصوالح الأعمــال .

يضع الأستاذ أبو الفضل قانون التحقيق ، ويرسم منهج المحقّق ، ويدلل على خطورة هذا التحقيق فيصرح بأن : « نشر هذا التراث وتحرير نصوصه ، أمر شريف القصد ، كريم الغاية ، عظيم الخطر والمقدار ، الا أنه مسلك وعر ، ومركب بعيد المنال ، لا يصح أن يعانيه إلا من آنس في نفسه سلامة الذوق ، وصفاء النفس ، وغزارة الاطلاع ووفرة المحصول ، وأن يكون بصيرا بالأساليب العربية في مختلف مناحيها ، عارفا بموارد الكلام ومصادره ، فطنا لصحيحه وفاسده ، صادق الحدس في مواضع الخطأ والنقص ، كيّسا في معالجة الأساليب المضطربة ، وكشف النقاب عن الألفاظ المستعجمة ، الى جانب أن تكون له مشاركة في الكتاب الذي يحققه ، وخبرة بمصادره وأهدافه ومراميه ، بعد أن يكون أمينا مخلصا ، حريصا على سلامة العربية مما يطرأ عليها من التحريف والتصحيف والابهــام » .

ثم يوضح هذا المنهج ، ويكشف أوراقه ، ويضع النقط على الحروف فيقول : « ولقد يظن بعض الناس : أن عالما في الطبيعة يصلح أن يحقق كتابا فيها ، أو أن شاعرا ينهض لتحقيق ديوان ، أو أن فقيهــا يستقيم له أن ينشر كتابا في الفقه ، وأن أي عالم يستطيع أن يحقق كتابا في فنه ، ولكن لكي يستطيع أن يقوم واحد من هؤلاء بالتحقيق ، يجب أن يكون جاريا من هذه الصناعة على عرق ، عارفا بقواعدها وأصولها ، وأن يجتمع له بعد ذلك من الوسائل ما يعبّد له السبيل ، ويدني له الغاية ، من وفرة المعاجم والمراجع والفهارس ، وطول ممارسته لها ، وخبرته بما فيها » .

فهل كان الأستاذ أبو الفضل من هذا القبيل ، أو هو يخطط ، ويرسم المنهج دون علم أو معرفة ؟

تقول كتبه التي حققها ، ويشهد له باعه الطويل في هذا الميدان الذي أخذ به منذ حداثته ، أو اضطلاعه بهذا العبء ، انه عالم شديد العلم ، حجة قوية على أسناد أقوى ، متثبت مما يقول ، عارف ببواطن الكلم ، ومعميات التحقيق .

على أن اختيار هذا العالم لكتبه التي يحققها ، ويقف الى جانبها خير شاهد على ملكته وأقوى برهان على ريادته وفضله .

ولقد كان لاختيار الأستاذ أبي الفضل لكتاب : « ثمار القلوب » من الدلائل الواضحة ، على التوفيق ، والأهداف الموصلة الى خدمة العربية ، ورفعة شأنها بين اللغات . فالكتاب على كثرة صفحاته قد بذل فيــه الثعالبي من صافي ديباجته ، ولطيف تخيله ، وخفيف روحه ، وشائق لفظه ، ورشيق معناه ، ما جعله بعيدا عن التكلف والتعقيد .. بناه على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة الى أشياء مختلفة ، يتمثل بها ، ويكثر في النظم والنشر وعلى ألسنة الخاصة والعامة استعمالها : كغراب نوح ، ونار ابراهيم ، وذئب يوسف ، وعصا موسى ، وكنز النّطف ، وقوس حاجب ، وقرطي مارية ، وصحيفة المتلمس ، وتفاح الشام ، وأترّج العراق ، وسكّر الأهواز ، وورد جور . »

والواقع أن الثعالبي قد خرّج هذه الأشياء من واحد وستين بابا ، ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولا ، ويفصح عن الاستشهاد وسياقة المواد آخرا ، وما فيها الا ما يتعلق من المثل بسبب ، ويوفي من اللغة والشعر على طرف ، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم ، ويأخذ من الاخبار والانسان بقسم ، ويجيل من خصائص البلدان والأماكن قدما ، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطا .

وليس من شك في أن الثعالبي قد جرى في تصنيف هذا الكتاب على سجيته في كتابة أبوابه وفصوله ، وأودعه من الطرف والنوادر والملح والأفاكيه والأقاصيص ، ومضاحك الشعر ، ما جعله مراد النفس ، وجلاء القلب ، ومتعة الخاطــر .

غير أن مما يذكر ، أن بعض العلماء قد شارك الثعالبي في تأليف هذا النوع : كابن الأثير في كتاب «المرصّع» . كما وقع بعض فصول لأبي هلال العسكري في كتاب « جمهرة الأمثال » وفصول أخرى في كتاب : «مجمع الأمثال» للميداني ، وفصول لابن سيدة في كتابه : « المخصص » ، الا أن كتاب الثعالبي قد جاء أجمعها لصنوف الآداب ، وروائــع الأخبار ، وسوائر الأمثال ، ومنتخل الأشعار ، مع الفضل في الفصول والأبواب والعذوبة في المورد ، والسهولة في الشريعة .

أما ما عاناه الأستاذ أبو الفضل في تحقيق هذا الكتاب ، فلا ينكر فضله أحد ، أو يذهب في عداد النسيان . فقد رجع المحقق الى نسخة مصورة عن نسخة مخطوطة بدار الكتب ، كتبت في القرن الحادي عشر ، ينقص آخرها ، وهي مجدولة بالمداد الأحمر ، وان كان أولها محلّى بالمداد الذهبي يلحق بها فهرست لعشرين بابا من أبواب الكتاب . ورجع كذلك الى نسخة مصورة عن نسخة أخرى مخطوطة بدار الكتب ، ينقص أولها . ورجع أيضا الى نسخة طبعت بمطبعة الظاهر ، وهي أحدث نسخة ظهرت لهذا الكتاب .

ودون ما شك في أن الرجوع الى هذه النسخ الثلاث ، ومقابلتها ، ودرس ما فيها والالمام بالتحريفات والتصحيفات التي وقعت فيها ، انما هو أمر ضروري لمن يريد أن يخرج عمله كاملا ، لا تزيّد فيه أو نقص . فالنسخة الأولى تنقص من آخرها والنسخة الثانية ، ينقص أولها ، والنسخة الثالثة لا يصح الاعتماد عليها كمرجع يستغنى به عن المرجعين الأولين ، ولهذا كان الجهد المضني ، والتعب في المراجعة والمقابلة والتثبت .

أما ما دفع الأستاذ أبو الفضل ، الى بعث هذا الكتاب ، فهو الاختلاف في الكثير الذي أحاط بالثعالبي : نشأة وتعلما وحرفة وصلة .

فتاريخ نشأته وحياته ، وروافد معارفه وآدابه ، وما تقلب عليه في أطوار عمره من أحداث ، وما عسى أن يكون قد شغله ومن وظائف أو أعمال ، وذكر شيوخه وتلاميذه ، وصلاته بالملوك والرؤساء والأمراء ، ومعاصروه من الكتاب والشعراء والعلماء ، لم يذكره مؤرخ أو باحث في كتاب من كتبه ، أو تعريف من تعاريفه ، وان كان « قاضي شهبة » قد قال : انه معلم صبيان في مكتب ، وحتى تلميذه وربيبه : علي بن الحسن الباخرزي ، لم يزد على أن قال فيه : « انه جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله » .

وشبيهه بهذا ما قاله الحصري صاحب « زهر الآداب » من أنه : « فريد دهره ، وقريع عصره ، ونسيج وحده ، له مصنفات في العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب » .

ويقول الأستاذ أبو الفضل ان الثعالبي : « كان بدر الأدباء الزاهر ، وكوكبهم اللامع ، وعى ما زخر به عصره من فنون وآداب ، وما ترجم الى العربية من ثقافات ، وأحاط بجميع ما صنّف من كتب ، وحفظ ما تناقلته الرواة من حرّ الشعر ، ومصطفى الكلام ، في مختلف الأصقاع من الأندلس غربا الى خراسان والتركستان شرقا ، وان كل ما ازدهر — في ظل الدولة البويهية في العراق وفارس والسامانية في التركستان وما وراء النهر ، والحمدانية بحلب ، والفاطمية بمصر ، والمروانية بالأندلس — من صنوف الآداب ، قد أحاط به ورعاه ، وان ما تفتحت به قرائح الشعراء ، وترسّل به الكتاب والأدباء ، في بغداد ونيسابور ودمشق وحلب والقاهرة والقيروان وقرطبة واشبيلية ، قد وقع له ، وأودعه بطون كتبه وأسفاره . » ولكن ليست هذه الشهادات وحدها بمغنية عن مطالعة هذا الكتاب ومعايشته فأبوابه : « ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولا ، ويفصح عن الاستشهاد وسياقة المراد آخرا ، وما منها الا ما يتعلق من المثل بسبب ويوفي من اللغة والشعر على طرف ، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم ، ويأخذ من الأخبار والأنساب بقسم ، ويجيل في خصائص البلدان والأماكن قدحا ، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطا » .

ولقد بدأ الثعالبي كتابه : بما يضاف الى اسم الله تعالى ، عزّ ذكره ، وجلّ اسمه ، وثنّاه بما يضاف وينسب الى الأنبياء ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وثلثّه بما يضاف وينسب الى الملائكة والجن والشياطين ، ثم مضى الى ما ينسب الى القرون الأولى والصحابة والتابعين ، ورجالات العرب والقبائل والرجال المختلفين والعرب والاسلام والمسلمين والقرّاء والعلماء وأهل المذاهب والآراء والأهواء ، وملوك الجاهلية وخلفاء الاسلام ، والكتاب والوزراء في الدولة العباسية وطبقات الشعراء ، والبلدان والأماكن ، وأهل الصناعات ، والآباء المضافين والأمهات المضافات ، والأذواء والذوات ، والنساء والمضافات والمنسوبات وما يضاف وينسب اليهن .

ثم عرض لأعضاء الحيوان والابل والخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والأسد والذئب والكلب والسباع والوحوش والسّنور والفأر والضّب والظربان والقنفذ والسرطان والحية والعقرب والحشرات والهوام والنعام والطير وعتاقه ، والغراب والحمام وجميع أصناف الطير ، والبيض والذباب والبعوض وما يجانسهما ، والأرض والدور والأمكنة والأبنية والبلدان والأماكن ، وما يضاف وينسب اليها ، كذلك الجبال والحجارة والمياه والنيران والشجر والنبات واللباس والثياب والطعام والشراب والسلاح والحليّ والليالي ، والأزمان والأوقات والآثار العلوية ، والأدب وما يتعلق به ، غير فنون مختلفة الترتيب على توالي حروف الهجاء .

غير أن الأستاذ أبو الفضل ابراهيم ، الذي بذل هذا الجهد الكبير في التبويب والترتيب ، والتحقيق والمراجعة والاستقصاء ، قد هاله ، دونشك ، أن يطوي هذا الكتاب ، الذي نيفت صفحاته على السبعمائة ، وليس فيه ما يدل على الرجوع الى أبوابه الكثيرة ، وتفريعاته المختلفة فصنع له هذا الفهرس الذي زاد على المائة صفحة ، ليسهل به على القارىء المراجعة ، ويقيم الدليل على علمه وفضله ، وان كان هو ليس بحاجة الى دليل . فالرجل الذي يقدم على التحقيق بعد أن يطالع الكتاب مرة ومرة ، ويستوعب ما فيه ، ويراجع ما اتصل به من قريب أو بعيد ، ويتكون عنده هذا الشتات المتنافر ، لا شك في أن عمله يؤتي ثمره وينفع . أما الذي يقدم على عمله دون انتضاء هذا السلاح فلا شك أن عمله يذهب وكأنه لم يكن ، وان تعددت أعماله ، وتنوعت تحقيقاته ، وزادت حتى أخذت بخناق الورّاقين ، دون القارئين أو المولعين بهذا التراث .

على أنه لا يخامرني شك ، أو يصبح في حاجة الى تبيان ، اذا أخذ المحققون أو القوامون على مجد العرب بما عناه الأستاذ أبو الفضل ابراهيم ، ورسم خطوطه ففيه الغناء أي غناء ، وفيه الكسب الأدبي الذي نتوق اليه ، ويدعو اليه العالم أبو الفضل : « فمما يعين على بعث تراثنا العربي جميعه ونشر كنوزه المخبوءة على أوسع نطاق ، أن تنسّق الجهود بين العلماء ، وأن تتعاون الأقطار العربية في النهوض بهذا العبء ، حتى لا تتكرر الأعمال ، ويعوق بعضها بعضا» . فإذا قام العراق مثلا بطبع تاريخ بغداد محققا ونشر ما ذيل به عليه : السمعاني ، وابن النجار ، والدبيثي ، وابن الدمياطي ، ونهضت المملكة العربية السعودية ، بنشر تاريخ مكة والمدينة والطائف واليمامة ، واستكملت دمشق طبع تاريخ ابن عساكر ، وأخذت مصر في تحقيق خطط المقريزي ، وعلى هذا النحو ، تقوم باقي الدول العربية ، أمكن للتراث العربي أن يبعث كله ، وأمكن لهذا الشباب العربي المتوثب ، أن يعرف تاريخ بلاده على الوجه الصحيح » .

اللاشعور أو العقل الباطن في النفس الإنسانية

بقلم الدكتورة فاطمة عزت

اذا حاول كل منا أن يتأمل أفكاره وتصرفاته ليعرف بواعثها وكيفية حدوثها ومدى خضوعها للارادة والمنطق ، فانه يجد أن جزءا يسيرا من سلوكه يسهل عليه متابعته وادراكه ومعرفة مسبباته ، وكذلك توجيهه . وهذا هو الجزء الشعوري من النفس الانسانية الذي يسمى بالعقل الواعي أو الشعور .

الا أن هذا الجزء الشعوري من النفس ليس الا حلقة من سلسلة كبيرة متدرجة في الوضوح قد تصل الى درجة مغرقة في الابهام والغموض هي التي يطلق عليها اسم اللاشعور أو العقل الباطن .

واللاشعور مصدر لنشاط يستمر حدوثه دون أن نستطيع التحكم فيه . فهو القوة التي تعمل من وراء الستار فتجعلنا نحب ونكره ، نقدم أو نحجم دون أن ندرك بواعث حبنا أو كرهنا أو تعليلا لتصرفاتنا . كما أنه مخزن للدوافع والاستعدادات الفطرية الموروثة التي تولد مع الفرد ، ومستودع للميول والرغبات والمخاوف المكبوتة التي منعها الشعور من الظهور . كما يحتضن اللاشعور أيضا الذكريات والأحداث الأليمة المحزنة أو المخيفة ، والصدمات الانفعالية التي أرغمت على التواري عن الشعور لما تسببه للفرد من قلق وازعاج ، الى جانب الحوادث المفرحة وكل ما نظن أنه ضاع في عالم النسيان وتلاشى عن أفكارنا .

كل هذه الخبرات مختلطة ببعضها دائمة الحركة والفعالية في غياهب النفس تحرك سلوكنا وتوجهه على غير علم منا .

والواقع أن الشخص العادي لا يهمه في الغالب أن يعرف دوافع سلوكه ، ويندر أن يتخذ من دوافعه هذه موضوعا لتأمله وتفكيره، وقد يظل مدة طويلة غير شاعر بما يحفزه من دوافع ، حتى يصطدم بعقبة ، أو يصدر عنه سلوك غريب ، أو يعترضه ظرف يعطل أحد دوافعه أو يهدده . عندئذ يأخذ الدافع في الاتضاح والبروز في شعوره من النادر أن يصل اليه الفرد لأن الدافع ذو تاريخ قديم لفه النسيان من عهد الطفولة فطغى على أصله وطبيعته . فلم يعد يفطن الى أن ما يحركه هو ذاك الدافع المنسي القديم . فمن الناس من لا يطيق أي نقد يوجه اليه ، وبعضهم من يكره سماع أي مدح أو اطراء يوجه الى غيره . وأغلب الظن أن أولئك لا يدركون أن شعورهم هذا ترجع مسبباته الى مرحلة الطفولة ، يوم كان الوالدان يتخذان من مدح أحد أطفالهما وسيلة للوم الآخر أو عقابه وكم من زوج يتطلب من زوجته أن توليه من الرعاية والاهتمام أكثر مما يجب ، وأن تتجاوز عن أخطائه مهما كبرت ، وهو لا يدري أن جذور سلوكه ترجع الى اسراف أمه في تدليله وهو طفل صغير وقضاء حاجاته ومتطلباته مهما بلغت من السهولة أو الصعوبة .

ومما يحول دون ادراك الدافع ومعرفة طبيعته أن يكون ثقيلا على النفس يجلب الهم أو الخزي أو الذعر ، أو يمس كرامة الفرد اذا بدا له واضحا في بؤرة الشعور . فكم من معتد أثيم لا يعرف أن ما يدفعه لسلوكه العدواني هو شعور خفي عميق بالنقص . ومن الناس من يرتعد خجلا وخوفا اذا أرغم على مواجهة موقف يضطره الى التنافس مع غيره ، أو التغلب على عقبة من العقبات وهو لا يدري أن حالته هذه ترجع الى عقدة نقص بغيضة كمنت في نفسه ورسخت في عقله الباطن من جراء فشله المتكرر في عهد الطفولة .

والأنانية والغرور عند البعض ، دوافع يحفز اليها سلوك غير واضح الهدف في أذهانهم . وكل ما في الأمر أن احدهم يشعر بحالة من الضيق والتوتر والقلق تحمله على القيام بمحاولات عشوائية متتالية للتخفيف من حدتها دون أن يدري ما يريد .

وتتحقق رغبات اللاشعور في الحياة اليومية ، وتظهر في سلوك الفرد بطرق ملتوية أو رمزية . ذلك أن الرغبات المكبوتة ينكر الفرد وجودها انكارا شعوريا ، ومن ثم لا يستطيع التعبير عنها تعبيرا مباشرا صريحا . فهذه الرغبات تظل معتقلة مكفوفة فتزداد طاقتها من أثر هذا الكف والاعتقال واذا بها تتحين الفرص للتعبير عن ذاتها بأية صورة ، وغالبا ما تكون مقنعة وغير مباشرة تظهر في النكات غير المقصودة وفي فلتات اللسان وفي الأحلام بنوعيها ، أحلام النوم وأحلام اليقظة .

في هفوات اللسان أو في زلات القدم يتورط الانسان بذكر أشياء دون قصد ظاهر ، الا أنه يتمنى تحقيقها في عقله الباطن فتقلب المعنى الذي يريده وتسبب له الكثير من الحرج . من أمثال هذه الفلتات ما قاله رجل لزوجته « اذا مات أحدنا قبل الآخر فسأتخذ المكان الفلاني مسكنا لي . » ومن أمثال زلات القلم ما كتبه شخص لآخر « لقد كان لقاؤنا أنحس مناسبة لاتمام هذه الصفقة » بدلا من أن يقول « أحسن مناسبة » .

وفي الأحلام حيث يكون الشعور أو العقل الواعي أقل تحكما في اللاشعور ، يتاح للرغبات المكبوتة أن تعبر عن نفسها تعبيرا صادقا الى حد كبير حيث تظهر بصورة رمزية مقنعة . من أمثلة ذلك طفل في السابعة من عمره توفي والده فجأة وهو في الثالثة من عمره وكان شديد التعلق بأبيه . وبعد أربع سنوات من الوفاة ابتدأت الأم تفكر في الزواج فتغيرت ظروف الطفل وأصبح قلقا مضطربا يحمل للرجل الذي سيحتل مكان أبيه أشد ألوان الكراهية والبغضاء . ولكنه لا يستطيع التعبير عنها خوفا من والدته التي كانت تقسو عليه وتؤثر أخته الصغيرة عليه بعد أن اعتقدت أن هذا الطفل المشاكس عائق في سبيل زواجها . فكانت أغلب أحلام الصغير تدور حول الثعابين واعتدائها عليه وسلبه الأمن والطمأنينة .. ولا شك أن الثعابين في أحلامه ترمز الى زوج الأم الذي اعتدى عليه واحتل مكان والده ، كما كان يتكلم أثناء النوم بصوت مسموع ويهدد غاضبا سيدة لعلها أمه أو من يمثلها .

وكثير من الحركات « والأفعال العرضية » تكمن وراءها دوافع لا شعورية لا نفطن الى وجودها. فالتعثر او الزلل أثناء المشي ليس غفلا من الدلالة ، اذ غالبا ما يكونان تعبيرا رمزيا عن الخوف اللاشعوري من الاقدام أو الفشل ، أو عن رغبة لا شعورية في عدم اتمام شيء يقدم الفرد على عمله .

ومن أمثلة هذه الأفعال العرضية ، قذف الطفل الأشياء من النافذة وذلك كثيرا ما يكون تعبيرا عن ضيق الطفل من أخيه الأصغر أو من شخص آخر يريد استبعاده عن المنزل .

وغالبا ما يحقق الأطفال في ألعابهم رغبات مكبوتة ، حيث أن ألعابهم - كما ترى مدرسة التحليل النفسي - ليست الا تعبيرات رمزية عن مخاوف ورغبات ومتاعب لا شعورية يكابدها الطفل . وما اللعب الا وسيلة أو محاولة للتخفيف أو للتغلب على ما يعانيه من توتر وقلق . والذين يفهمون هذه اللغة الرمزية للأطفال يكتشفون في العادة الأشخاص والحوادث التي ترمز لها هذه الأدوار . فالطفل الذي يمثل دور وضع « القطرة » في عين دميته انما يحقق رغبة كامنة في نفسه لأن أمه أمسكت به وضغطت عليه ووضعت « القطرة » في عينه عنوة . وهذا في مجموعه عملية غير سارة لا يرضاها الطفل وانما يقبل الاذعان لها تحت ضغط من حوله . ولكن من له بهؤلاء حتى ينتقم منهم ، فيقوم بتمثيل هذا الدور وفيه الفرجة الكافية عن نفسه .

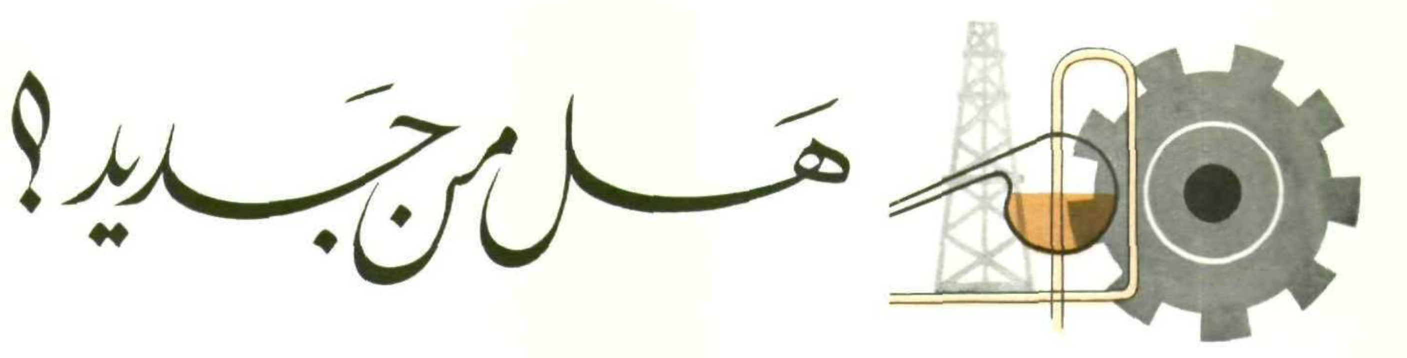
ومثله أيضا ذلك الطفل الذي يجلس أمام دميته ويطلب اليها أن تسمع الكلام وألا تتحرك انما يبين بصورة أخرى ثورته على الأوامر التي تلقى عليه من وقت الى آخر ، كما يريد أن يشعر بالسرور الذي يشعر به الكبار عند اخضاعه .

ان لعب الطفل نوع من « الشفرة » من استطاع أن يحل رموزها تسنى له أن ينفذ الى الحياة النفسية العميقة للطفل ومتاعبه .

وقد تتخذ الأفعال الناتجة عن اللاشعور طابعا قسريا . . أي يجد المرء نفسه مرغما على أدائها . لأن كثرة الكبت تؤدي الى التوتر وشدة الحاح الدافع ومن ثم لا يستطيع الفرد ضبط هذا السلوك أو التحكم فيه .

فالشاب الذي لا ينفك يعض شفتيه أو يقضم أظفاره بعنف واستمرار ، ويعجز عن الاقلاع عن هذه العادة مهما عزم وحاول ، انما هو فريسة رغبات لا شعورية ينفس عنها بهذه الأفعال القسرية . من هنا كان السلوك الصادر عن الدوافع اللاشعورية يبدو غريبا شاذا في نظر الآخرين وأحيانا في نظر الفرد نفسه .

لقد أفسح فهم اللاشعور في النفس الانسانية مجالا واسعا أمام علماء النفس لتفسير أغلب التصرفات الشاذة والمرضية ، وبواعث الاضطرابات النفسية . كما مكن من فهم سلوك البشر وتصرفاتهم بعد الوقوف على القوة الحافزة لهم والكامنة في اللاشعور .



جهاز لانقاذ البصر

البصر ، ولا شك ، من أكبر النعم التي منّ الله بها على الانسان فجعله به قادرا على التمييز بين النور والظلام ، والتفريق بين الأشياء والألوان .

وقد يتعرض البصر لحوادث وأمراض قد تذهب بنوره فتحجب عن صاحبه نور الحياة ، فمن الأمراض الخطيرة التي تصيب عين الانسان مرض « الجلاكوما » أو تقلص كرة العين . وهناك ما يربو على مليون ونصف نسمة من سكان العالم ، ممن تنوف أعمارهم على الأربعين ، مصابون بهذا المرض الذي قد يفضي الى فقدانهم البصر تدريجيا . بيد أنه من الممكن انقاذ الكثير من هؤلاء اذا ما اكتشف المرض مبكرا وذلك بواسطة جهاز جديد لقياس توتر مقلة العين .

ومرض « الجلاكوما » كثيرا ما يفتك بالنظر دون ظهور عوارض سابقة تحدو بالشخص المصاب الى عرض نفسه على الطبيب المختص . غير أنه بفضل الجهاز الجديد المعروف بجهاز « درهام » يتسنى للطبيب المختص ، في غضون ثلاث دقائق ، أن يتحسس موطن المرض في حالة انعطاف عادي للاشعاع المنعكس من عين المريض . ويمكن القيام بهذه العملية والحصول على النتيجة دون الحاجة الى التخدير .

ومهمة هذا الجهاز ، الذي يحتوي على مجس يتحرك بواسطة الهواء والذي قامت بصنعه شركة أمريكية قراءة الضغط في بياض العين . وعند اجراء الفحص على عين المصاب يتدفق غاز مضغوط الى المجس خلال أنبوب مرن طوله سبعة أقدام . وهناك أنبوب آخر يوصل المجس بمحول آخر يقوم بدوره بتحويل الاشارات الغازية الى اشارات كهربائية ، تتحول فيما بعد الى صورة واضحة لضغط العين الداخلي وذلك بواسطة جهاز مقوخاص .

طريقة جديدة لاخماد الزوابع

كثيرا ما يتعرض الانسان في حياته للأخطار الطبيعية كالفيضانات والبراكين والزلازل والأعاصير والعواصف . وقد ظل منذ نشأته في صراع دائم مع هذه الأخطار مستعينا بالوسائل الفطرية بغية حمايته وأمنه . ومع تقدم العلم والصناعة ، استطاع الانسان أن يبتكر العديد من الوسائل الفنية الكفيلة بالتخفيف من حدة هذه الأخطار التي تهدد سلامته ، والتغلب عليها ما وسعه الى ذلك سبيل .

ومن الوسائل الحديثة التي توصل الى ابتكارها مؤخرا أحد العلماء ، طريقة لاخماد العاصفة قبل هبوبها . والمعروف علميا أن الزوابع تحدث نتيجة تدفق مجرى قوي من قطرات المياه بين مجموعتين سالبة وموجبة من خلايا الغيوم ، مولدة بذلك قوى كهربائية تعتبر مصدرا للطاقة الباعثة على حدوث العاصفة .

وتتخلص هذه الطريقة الجديدة التي جرى تجريبها في أحد المختبرات ، في قصف تجمع غيوم العاصفة بقذائف كروية تحمل أسلاكا ، يبلغ قطر الواحد منها ٠٠٣, من البوصة . وهنا يتدلى طرف واحد من كل سلك من هذه الأسلاك لتمتد بين مجموعتي الغيوم السالبة والموجبة . وهذه الأسلاك تطلق بدورها شرارة تبطل بها فعل الشحنة الكهربائية المتولدة من تفاعل مجموعتي الغيوم ، وبالتالي تحول دون هبوب العاصفة . وقد أثبتت هذه النظرية بعد أن أجريت التجارب عليها بنجـاح .

قصة قصيرة

الجانب الآخر

بقلم الاستاذ عزت محمد ابراهيم

لم يكد يدخل شقته ويغلق على نفسه بابها حتى أحس وكأنه قد أزاح عن نفسه عبئا ثقيلا ، لم يزحه للمرة الأولى ، وانما يزيحه كل يوم ليعود الى كاهله مرة أخرى ، ويعود هو الى ازاحته وهكذا في كل يوم عملية تتكرر مع تكرار نمط حياته ، فعليه في مكتبه وفي وظيفته المحترمة التي يشغلها أن يبدو جامدا خطير الشأن ، وأحيانا عابسا متجهما مقطب الوجه ، وأحيانا أخرى متظاهرا بالقسوة والغلظة ، وقد اقتنع آخر الأمر أن هذه كلها أمور من مستلزمات عمله ، تماما كالمكتب الفخم الذي ينبسط أمامه ، وكالكرسي الوثير المتحرك الذي يدور به يمنة أو يسرة اذا شاء . فإذا آنس وحدة وسكونا ترنم بأغنية ، أو أطلق من فمه صفيرا مرحا ، فإذا عكر صفو وحدته معكر اضطر الى أن يرسم على وجهه ملامحه الجادة التي لم تكن تعرف الطريق اليه فيما مضى ، فلم تكن تلك هي طبيعته التي فطره الله عليها ، وانما كان شابا مرحا ، منبسط الأسارير ، منطلق النفس يتركها على سجيتها حتى اذا تخرج من جامعته وارتقى سلم وظائفه لم يجد بدا — او هكذا خيل اليه — من تغيير سلوكه والاتجاه بحياته الى جانب آخر يبدو فيه على غير حقيقته ، ويظهر من نفسه غير ما يبطن في داخلها وبين حناياها ، فإذا عاد الى مسكنه وأغلق بابه على نفسه وأصبح وحيدا ، انطلق على سجيته الأولى هاشا باشا متمايلا مترنحا يسمع نغمة حلوة فيصاحبها بفمه أو جسمه ، أو يرفع عقيرته بصياح يحسبه غناء فيهتز له جسمه طربا .

وهكذا كان شأنه : جانب في مكتبه ، وجانب في مسكنه ، والجانبان على طرفي نقيض ، والحياة تسير به على هذه الوتيرة ، وهو بها راض سعيد ، ولم ينغص عليه حياته التي يحياها في بيته غير خاطر واحد هبط عليه فجأة ، وجعل يلح عليه الحاحا متصلا حتى كاد أن يملك عليه زمام نفسه كله :

هذا الفراش الذي يدخل عليك بالقهوة أو الشاي مرات في اليوم ، لا يراك غير متجهم الوجه ، جامد الملامح ، كيف يكون شعوره



حين يراك وحيدا تغني أو تطرب أو تسير راقصا أو كالراقص في مسكنك الفسيح ؟

وهذا السكرتير الذي لا تكاد تخاطبه الا من طرف أنفك كيف يكون حاله اذا سمعك ترفع عقيرتك بهذا الصياح الذي تسميه غناء ؟

وهذا الزميل الذي يدرس معك أمرا من أمور العمل فلا يجد فيك غير الرزانة والهدوء ، والذي لا يدور بينك وبينه في الوقت الطويل غير الكلمات القصار ، ماذا يكون من أمره لو رآك تسير قفزا أو تترنح طربا ؟

وعبثا كان يحاول طرد هذه الأفكار من مخيلته ، وعبثا كان يحاول ابعادها عن طريق تفكيره أو يقنع نفسه بأنها ليست سوى خرافات وخيالات ، وأن أحدا من هؤلاء جميعا لن يتسنى له أن يراه وهو في غير حاله التي يريدها هو ، وأن ما يفعله اذا كان وحيدا فذلك شأنه وحده وتلك حياته على طبيعتها لا يريد لأحد أن يعرف من أمرها شيئا .

وذلك كله صحيح في ميزان المنطق ، أما في ميزان أفكاره وأوهامه فالمنطق لا يصبح له وزن ولا قيمــة .

وأمسك بكتاب يقرأ فيه لعله يصرف عن نفسه أوهامها فإذا بها تزداد الحاحا ، واذا بالهازئين الضاحكين يتراءون له بين سطور كتابه كأنما هم شخوص حقيقية قد انتقلت أمام ناظريه ماثلة أمامه . ورمى بالكتاب بعيدا ، وقام الى جهاز الاسطوانات فأدار واحدة منها وهو يحدث نفسه قائلا :

— هي وحدها التي ستذهب عن نفسي حزنها واضطرابهــا .

ونسي ما كان فيه وعاد الى طبيعته يتمايل مع أنغام الموسيقى الراقصة التي تنبعث من الركن الهادىء في مسكنه الأنيق ، ولكنه توقف فجأة كمن لدغه عقرب .

ما هــذا ؟

لقد سمعها بجلاء .

نعم انها قهقهة عالية ساخرة قد انبعثت من مكان ما في الحجرة ، يكاد يميز فيها صوت فراشه الذي يحمل اليه القهوة والشاي مرات في اليوم ، ما الذي أتى به الى هنا ؟ وفتش في أنحاء مسكنه فلم يجد شيئا ، وتحركت عيناه في خوف وفزع ، ولكنهما لم تقعا على شيء .

وعاد الى اسطوانته لا ليطلق بها نفسه على سجيتها ، ولكن ليبعد عنها هذا الذي يتراءى له ولا يراه ، ولم يمض غير وقت قصير حتى سمع القهقهة العالية يتبعها صوت يستبين منه صوت الفراش هازئا ساخرا :

— اذن فأنت هكذا ، فلم تتظاهر أمامي بهذا الجمود ، ولا يبدو منك غير الأمر والنهي؟

وسد أذنيه بأصابعه ، وترك الحجرة هاربا :

— هل من أحد في هذه الشقة ؟

واستعاد رباطة جأشه فسكن قليلا ، ولكن صوتا خيل اليه أنه يأتيه على مهل وفي هدوء ، ترامى الى أذنه كانه العتاب الرقيق ، واستطاع أن يعرف فيه صوت سكرتيره المهذب يقول :

— أهكذا أنت ! لقد رأيتك وسمعتك ، فلم تعذب نفسك كل هذا العذاب ، ولم لا تتركها على سجيتها منبسطة منشرحة لا تقيدها بقيود تأباها ، لا نطلب منك أن تغني أو ترقص في مكتبك ولكن على الأقل كن بشوشا مرحا كما خلقك الله ، تكن سعيدا .

— وأنت أيضا ! ماذا أتى بك الى هنا ، يا نجي الألطاف نجنا مما نخاف ، أيمكن أن يكون هذا أيضا وهما من الأوهام ؟ هذا صوت أعرفه جيدا ، ولكن من أين هبط علي ، وكيف قدم صاحبه بغير استئذان ، والمكان محكم ، ومن غير المعقول أن ينبعث صوت ، ثم لا يكون لصاحبه وجود .

وقام في خوف وفزع يفتش المكان شبرا شبرا ، وأزاح ستارة يريد أن يعرف ما وراءها فتسمر مكانه .

من هذا أيضــا !

انــه زميلي .

ولم يقل زميله شيئا ، ولم ينبس بكلمة ، ولكنه ابتسم ابتسامة ساخرة ارتسمت على شفتيه لتختفي ، ويختفي صاحبها معها .

ولم يطق بعد ذلك صبرا فترك مسكنه مهرولا ، وجال في المدينة جولة استنشق فيها عبير الهواء النقي ، واستراح على شاطىء البحر فاسترد كثيرا من عافيته ، وعاد الى مثواه وقد ذهب من الليل أكثره ، قد أضناه التعب وغلبه سلطان الكرى فأسلم اليه نفسه .

خرج في الصباح الى عمله يحاول جاهدا اقناع نفسه بأن ما مر به ما هو الا كابوس ثقيل قد جثم على أنفاسه ثم زال عنه . وجلس في مكتبه يتصنع الهدوء والثبات ، ودخل عليه فراشه بقهوة الصباح كما يدخل بها عليه في كل يوم ، فخيل اليه أنه يرى على فمه ابتسامة لها مغزى ، وحاول أن يكبح جماح نفسه فلم يقو على كبح جماحها ، فسأله في حنق :

— ما يضحكك ؟

وفغر الرجل فاه مستغربا وهو يقول :

— انني لا أضحك حتى يكون هناك شيء أضحكني .

ولم يقنعه جوابه فجادله مغيظا محنقا ، مصرا على أنه رآه يضحك ، ولم تجد معه الايمان المغلظة بأنه لم يضحك ولم تظهر عليه بادرة ضحــك .

وخرج الفراش مستغربا ، ورأى السكرتير يهم بالدخول الى غرفته فحذره منه ومن حالته الكئيبة التي رآه عليها ، وقص عليه قصته فسمعها بين مصدق ومكذب ، ثــم وقف أمام رئيسه يغالب ضحكة تريد أن تنفجر بها نفسه ، ولم يستطع آخر الأمر أن يمسكها فانطلقت من عقالهـا .

وهب هو واقفا مزمجرا يتوعد ويهدد فأطلق السكرتير لساقيه العنان هربا بنفسه من هذا الشر الذي تمثل فجأة في رئيسه الهادىء الوديع .

أما رئيسه فقد قبع أمام مكتبه يحرق سيجارة اثر أخرى وهو يحدث نفسه بصوت مسموع فيقــول :

— انه يعلم ، بالتأكيد يعلم كـل شيء ، ليست هذه أوهاما ، انها حقائق ، والا مـا الذي أطلق من نفسه هذه الضحكة الغريبة ، لم يحدث منه ذلك أبدا ، لقد تأكد لدي ما كنت أحسبه وهما وخيالا .

ولم يلبث أن أصبح أمره حديث الموظفين ووصل الى أسماع زميله فأسرع اليه ليعرف حقيقة حاله ويهدىء من روعه ان كان قد أصابه شر ، ولكنه لم يكد يراه حتى هب فيه صائحا :

— اضحك أو لا تضحك يا صاحبي فأنا أعرف ما يدور بخلدك ، ولن تستطيع أن تخدعني أبــدا .

نعم أنت تعرف الحقيقة ، تعرف أنني أرقص وأغني وأتمايل طربا ، أليس كذلك ، أليس هذا هو ما يدور في نفسك .

وسمعها زميله وهو لا يكاد يصدق أذنيه :

— ترقص وتغني وتتمايل طربا ! ما هذا الذي تقوله ؟ اذن لم يكذب الفراش والسكرتير ، تلك مصيبة قد حلت بك .

وتركه وحيــدا .

ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منه ، وفي اليوم التالي كان قد انتقل الى الجانب الآخر من المدينة حيث يقبع في الخلاء مستشفى العقــلاء .



هكذا يقولون

الابن : هل صحيح أن النقود تتكلم ؟
الأب : هكذا يقولون !
الابن : اذن أرجو أن تترك لي يا أبي كمية منها حتى أجد من أكلمه أثناء غيابك .

إحراج

بينما كانت فتاة صغيرة تجهش بالبكاء تقدمت منها سيدة طاعنة في السن وقالت لها :
لا تبكي يا عروسة ، فالبكاء يجعلك قبيحة الشكل .
فقالت الفتاة : هل بكيت أنت كثيرا ، اذن ؟

تبرير موقف

الأب : اذا كسرت صحنا فسأضطر الى عقابك !
الابن : لكن الخادمة تكسر الصحون دائما ومع ذلك فانك تبش في وجهها ! !

عذر

استأجر طبيب ذات يوم طباخا لساعة واحدة ، وكتب له العبارة التالية « اطبخ لنا بطاطا باللحم .. الأغراض في الثلاجة » . ولدى عودة الطبيب الى البيت لم يجد الغداء جاهزا ، وهنا صاح بالطباخ وقال :
ما الأمر ، ألم ترَ الورقة التي تركتها لك ؟
الطباخ : بلى .. ولكني لم أجد صيدليا يساعدني على فك الخط وقراءته .

في اسكتلندا

الطبيب : أنت مصاب بذبحة صدرية وعليك أن تعرق عرقا شديدا .
المريض : لقد حاولت أن أعرق ولكن دون جدوى .
الطبيب : هنالك طريقة مضمونة .
المريض : ما هي ؟
الطبيب : أعط فقيرا ريالا وعندها تتصبب عرقا .

لا أقرض أحدا

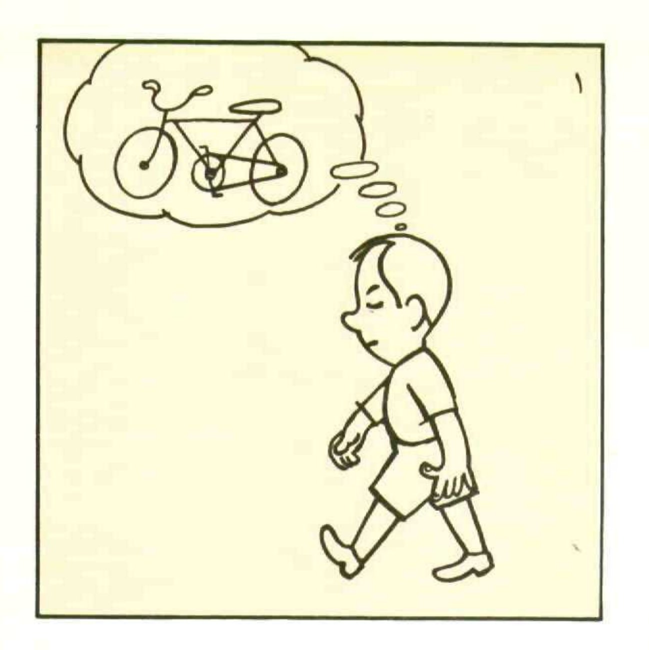
الأول : كنت قد وعدتني بأن تقرضني بعض النقود فهل لك أن تفي بوعدك الآن ؟
الثاني : أنا لا أقرض أحدا وانما أعطي من الوعود ما أشاء .

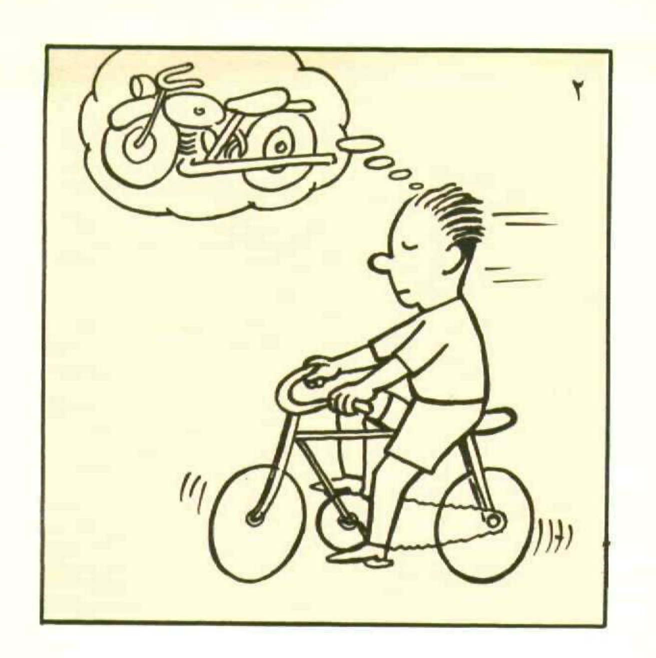
شقاوة الأطفال

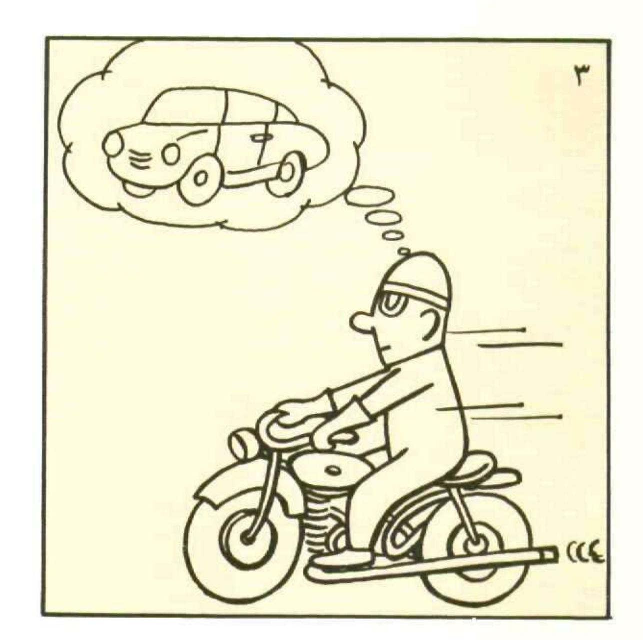
أراد عالم نفساني أن يكتب بحثا عن شقاوة الأطفال . فأحضر جهاز تسجيل وخبأه في مكان خفي من غرفة أطفاله لتسجيل حركاتهم . وبعد نصف ساعة عاد الى الغرفة فوجد أطفاله يلهون بشريط التسجيل .

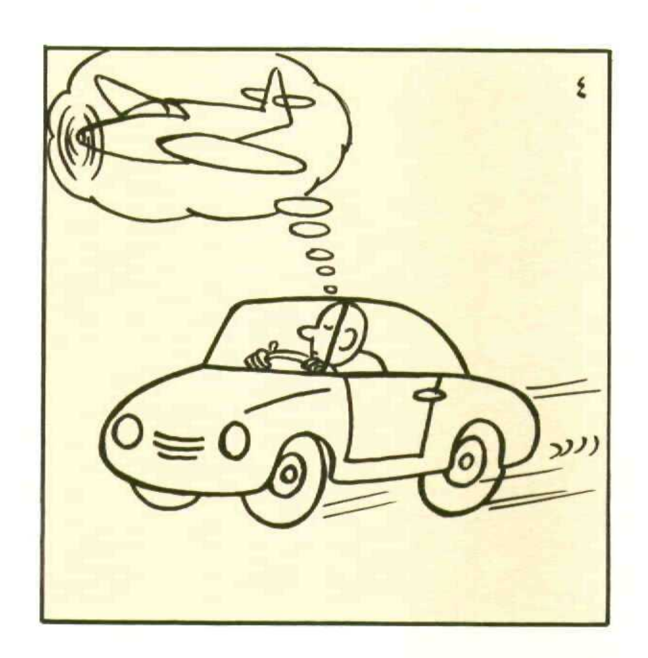
هدئ من روعك

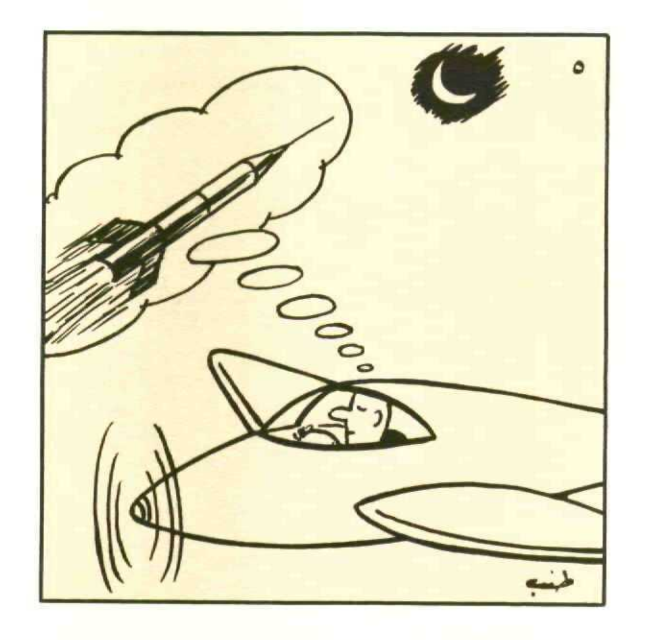
طلب أحد الأشخاص هاتفيا سيارة أجرة لنقله الى المطار ، وبعد ربع ساعة اتصل ثانية وقال بغضب :
طلبت سيارة أجرة قبل ١٥ دقيقة ولما تأت . فأجاب المدير : هدىء من روعك يا سيدي ان الطائرة تتأخر عادة عن الاقلاع ، فصاح به الرجل وقال : انني أنا قبطان الطائرة .


١


٢


٣


٤


٥

بقية المقال المنشور على الصفحة (١٤)

يشب شقيا نزاعا الى الاجرام . وكذلك الأم التي تكدح دون أن تلاقي حبا تصبح تعيسة . ولكم يجعل الحب الحياة رائعة حين ينفي منها الغل والحسد والوحدة الكئيبة . اذ يظل العقل عامرا بأسمى العواطف وأحرها للآخرين . بينما تظل حياة الذين تجردوا من هذه العاطفة قاسية كصراع مستمر .. ولكم يرتفع بالحب هؤلاء الذين غرقوا من طفولتهم في الشقاء . وتتفتح بهذا الحنان العميق المستتر في طوايا الحب . انسانيتهم وعبقريتهم . وتزكو مواهبهم . فهذا مكسيم جوركي – الكاتب الكبير – كان يعاني في طفولته شقاء قلما كتب مثله على غيره من الناس . فلقد فقد أباه في سن مبكرة ، وابتلي بأعمام قساة ، غير ان جدته الطيبة كانت له ، بحبها العميق ، نورا يضيء في أيام الشقاء أو كما يقول فيها : « لقد كانت جزءا من ذاتي في أيامي الماضية ، وكانت مواعظها لي زادا في حياتي الحالكة » . ولقد قالت لي عندما تأهبت لتودعني عندما بدأت خوض معركة النضال للحياة : « لا تغضب الناس كما لا تتأثر منهم وتحقد عليهم لأن نفسك شديدة الانفعال ، وتميل الى التشاؤم . ولا تطلب من الناس أكثر مما يستطيعون . »

ولقد ساعدته هذه الأحاديث وهذا الحب على أن يعيش معتمدا على نفسه مقاوما للبيئة ، مسلحا بعقيدة راسخة لا تستسلم ولا تتزعزع ، كما قال : « من طبيعتي . أنها لا تطالب بالمساعدة ، ولم أعز آمالي المحطمة الى الحظ البائس . انما عقيدة لا تقبل الاستسلام في أي حين . وكلما حطت بي الأيام في الشقاء ، كلما أصبحت أشعر بنفسي ترتفع صارمة قوية ، تتمتع بحكمة أكثر . وتأكدت تماما . ان الرجل يخلق بالمقاومة التي يجابه بها محيطه . وبيئته . »

الفن يرفع الى الرقي والتهذيب

والفن عنصر جوهري في حياة الانسان أيضا . اذ أنه لا يجمل له الحياة فحسب . بل يعلمه ويهذبه ويسمو بعواطفه . ويبعث في نفسه القوة ويحمل له الأماني والآمال . ويخلصه من التردد والخوف . ويدفعه الى الرقي . والفن – كما يقول « كامو » – ليس متعة منعزلة . بل واسطة لتحريك أكبر عدد من الناس . وهو يقدم لهم أعمق الصور وأصدقها من الآلام والمباهج العامة والأفراح . سواء كان هذا في الأدب أو الشعر أو الموسيقى أو الرسم أو النحت. وما يستطيع الانسان أن يحيا ويجالد ويتغلب على المتاعب ، ما لم يكن هناك غذاء لروحه ، وتجديد لعزيمته وقواه لتفيض بالقوة وتطرح عنها الآلام والمصاعب . وترفع مثله العليا .

العمل يؤكد انسانية الفرد

كذلك العمل . فليس هناك ما يؤكد انسانية الفرد كالعمل . على أن يعرف كيف يختار عمله ويحدده . اذ أن قدرة الانسان محدودة ، وانه اذا أراد أن يجمع أعمال عديدة في آن واحد فسيفشل حتما . لذا يجب التخصص والتدقيق في الميل الأقوى للعمل .

ولقد كان نابليون يقول : « ان فن الحرب يقوم على أن تحشد قواك وتكون الأقوى في احدى الجبهات . » كذلك يقوم فن الحياة – كفن الحرب – على أن تركز قواك في نقطة تنطلق منها مواهبك وارادتك ، دون أن تتبدد وتتجزأ ، اذ ان من الخطر افتراض النجاح في موضوع ، وقواك الذهنية موزعة مع غيره ، فيدركك الفشل ، والفشل أمر شديد على النفس ، اذ يضعف الثقة بها والايمان بقدراتها .

وبعد ، اذا كانت الحياة ميدان معركة لا تنتهي من مشرق العمر الى مغربه ، فانها معركة النضال المستمر من أجل السعادة . وما تكون هذه السعادة في تحقيق الأشياء التي نريدها ، والتي تجلب لنا الفرحة الغامرة ، كالعمل الناجح ، أو تصفية الديون ، أو رؤية الأحباء ، أو محادثة الأصدقاء ، أو تحقيق الأمل . قدر ما تكون بأن نجعل من حياتنا فنا رفيعا ، وفلسفة عميقة خلاقة ، ونحس من خلال الكفاح ، بجمالها وقيمتها . واننا نتعلم منها ونتعظ بدروسها الصالحات ونحيا كل يوم حياة جديدة مستمدين من هذه الفلسفة الرائعة ايمانا بأنفسنا وقوة على أن نحتمل فيها المكاره ونصمد أمام النائبات ، وان نوطن أنفسنا على تلقي الخسارة كما نتلقى الربح ، وان نثابر على النضال ويظل لنا ايماننا في أحرج الأوقات ولا ننهزم ، وأن يبقى لنا الأمل أيضا وقد سئل الاسكندر الأكبر حين وزع كل الغنائم على قواده وجنوده : « ماذا أبقيت لنفسك ؟ » قال : « الأمل » .



○ **قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :** اقرأوا القرآن تعرفوا به . واعملوا به تكونوا من أهله ، ولن يبلغ حق ذي حق أن يطاع في معصية الله . ولن يقرب من أجل . ولن يباعد من رزق . أن نقوم رجل بحق أو يذكر بعظيم

○ **قال أكثم بن صيفي :** دخل عيسى بن طلحة ابن عبيد الله على عروة بن الزبير وقد قطعت رجله . فقال له : والله ما كنا نعدك للصراع ، ولقد أبقى الله لنا أكثرك . أبقى لنا سمعك وبصرك . ولسانك وعقلك . ويديك واحدى رجليك . فقال له عروة : والله ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به .

○ **قال عبد الله بن شداد :** أرى داعي الموت لا يقلع ، وأرى من مضى لا يرجع ، ومن بقي فإليه ينزع . لا تزهدن في معروف . فان الدهر ذو صروف فكم من راغب قد كان مرغوبا اليه ، وطالب قد كان مطلوبا ما لديه . والزمان ذو ألوان . ومن يصحب الزمان ير الهوان .

○ **أي الزرع خير ؟**

خرج الحجاج الى « فرسان » فاذا هو بأعرابي في زرع . فقال له : من أي القبائل أنت ؟ قال : من الأزد . قال : ما علمك بالزرع ؟ قال : اني لأعلم من ذلك علما قال : فأي الزرع خير ؟ قال : ما غلظ قصبه . واعتم نبته وعظمت حبته وطالت سنبلته . قال : فأي العنب خير ؟ قال : ما غلظ عموده . واخضر عوده ، وعظم عنقوده . قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لحاؤه ودق نواه . ورق سحاه .

○ **قال الأصمعي :** سمعت بعض الاعراب يقول : من ولد الخير أنتج له فراخا تطير بالسرور ، ومن ولد الشر أنبت له نباتا مرا مذاقه .






الحركة الأدبية في العالم العربي

• صدرت مؤخرا طائفة من الدواوين الشعرية منها « الأغاريد » للأستاذ محمد بن علي السنوسي وقدم له الأستاذ محمد سعيد العامودي و « بدر شاكر السياب — مختارات من شعره » قدم له الأستاذ أدونيس و « النغم الحائر » للأستاذ راشد الزبير السنوسي وقدم له الشاعر الكبير الأستاذ عزيز أباظة و « ماذا تعني الغربة » للشاعرة وفاء وجدي و « بدلا من الكذب » للأستاذ محمد مهران السيد وقدم له الدكتور عبد القادر القط .

• صدرت مؤخرا نسخة من المسرحية الشعرية الرائعة « غادة أفاميا » للشاعر السوري المعروف عدنان مردم بك . وقد اختار الشاعر مدينة « أفاميا » التاريخية مسرحا لاحداثها لكونها قطعة من وطنه . والمسرحية تقع في ١٢٤ صفحة من القطع المتوسط . وهي أنيقة الطبع . حسنة التبويب .

• آخر ما صدر للأديب الراحل الأستاذ طاهر الطناحي كتاب « شوقي وحافظ » . وهو دراسة للشاعرين الكبيرين من خـــلال مجالسهمـــا ومطارحتهما ومفاكهتهما وشعرهما . وفي الكتاب ذكريات شخصية عن الشاعرين رواها الطناحي بأسلوبه الاستطرادي الممتع . كما ان فيه آراء صائبة عن الشاعرين اهتدى اليها الكاتب بعد طول مزاولة للأدب والشعر .

• الأستاذ أنور الجندي معني بالحركة الفكرية المعاصرة عناية يكاد يقتصر عليها كل نشاطه ، وقد أخرج حتى الآن بضعة عشر كتابا يمثل كل منها جانبا من جوانب تلك الحركة في مائة عام . وصدر للأستاذ الجندي أخيرا كتاب كبير عنوانه « مفكرون وأدباء من خلال آثارهم » تناول فيه بالدراسة أكثر من أربعين كاتبا منهم الأمير مصطفى الشهابي والدكتور عمر فروخ والدكتور محمد صبري والدكتور أحمد غلوش والدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة والأساتذة محمد عبد الله عنان وعلي الجندي وعلي أدهم ومحمد عبد الغني حسن وعمر الدسوقي وأحمد حسين ومحمـــد أبو الفضل ابراهيم وخير الدين الزركلي وكامل كيلاني وغيرهم .

• نشر الأستاذ محمود أبو ريه رسالة الامام الطوفي الموسومة « في تقديم المصلحة في المعاملات على النص » . وعليها تعليق للعلامة الراحل الشيخ جمال الدين القاسمي .

• مسرحيتان كبيرتان صدرتا أخيرا همـــا « شهريار » للدكتور الشاعـــر عمر النص وتتميز بسبق اليه طائفة من الروائيين و « ابن الأيهم » وهي مسرحية شعرية للأستاذ سليمان العيسى .

• وفي القصة صدرت رواية مطولة للأستاذ ناجي جواد عنوانها « مع الأيام » . وأخرى للدكتور محمد عزيز الحبابي عنوانها « جيل الظمأ » ورواية « مهمة الدكتور كلدار » لمكس براند وقد ترجمها الأستاذ أحمد عادل ورواية « سهير » للأستاذ الياس عكاوي . كما ظهرت مجموعات قصصية منها « مخاض الصمت » للأديبة نجاة خياط و « عود القصب » للأستاذ محمود حسن العزب و « الحب والجدار الأسود » للأستاذ رزق عمار و « الموقـــع » للأستاذ أمين ريان .

• من كتب التحقيق التي ظهرت « بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » للسيوطي وقد حققه في جزئين كبيرين العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم و « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » للذهبي وقد حققه في أربعة أجزاء الأستاذ علي محمد البجاوي و « أخبار مكة » للأزرقي وحققه المرحوم الأستاذ رشدي ملحس ، وطبعة جديدة من كتاب « المختار من رسائل الصابي » تحقيق العلامة الراحل الأمير شكيب أرسلان .

• صدر الجزء الثاني من كتاب « الفلسفة المعاصرة في فرنسا » تأليف بنروبي وترجمـــة الدكتور عبد الرحمن بدوي . كما صدر في الفلسفة كتاب « بروتاجوراس— محاورة لأفلاطون » لبنيامين جويت وترجمة الأستاذ محمد كمال الدين علي يوسف ومراجعة المرحوم الدكتور محمد صقر خفاجة .

• من كتب العلوم بين مؤلفة ومترجمة ظهرت هذه المجموعة « بدائع السماء والأرض — رحلة بأسلوبها الشاعري ومعالجتها الجديدة لموضوع مع العلم في رحاب الكون » لجيرالد هوكنز وترجمة الدكتور عبد الرحيم بدر ومراجعة الدكتور فؤاد صرّوف و « الطير في حياتنا وتراثنا » للأستاذ عبد القادر عياش و « الكيمياء عند العرب » للأستاذ مصطفى لبيب عبد الغني وتقديم الدكتور مصطفى شفيق و « البحار وما فيها » لروبرت كاون وترجمة الدكتور عبد الحافظ حلمي .

• من كتب التربية الجديدة ظهرت هـــذه المؤلفات « فلسفة الوضعية المنطقة والتربية » للأستاذ لطفي بركات أحمد و « المرشد لوضع برامج التدريب الذاتي » لديل بريثور وترجمة الـدكتور صلاح الـــدين حلمي و « ادارة المدرسة الثانويـــة الحديثة » لبيرسي بوراب وترجمة الأستاذ سامي ناشد .

• أصدر الدكتور عبد المنعم ماجد الجزء الأول مـــن كتاب « التاريخ السياسي للدولة العربية — عصور الجاهلية والنبوة والخلفـــاء الراشدين » .

• في الرياضة البدنية صدر للأستاذ ابراهيم علام كتاب « ألعاب القوى للهواة » وللأستاذ ابراهيم البرديسي كتابا « التدليك للرياضيـــين والمشرفات على الأطفال » و « الصحة والشباب الدائـــم » .

• ظهـــر « قاموس المصطلحات الاحصائية والديموجرافية » باللغتين الانكليزية والعربية من تصنيف الدكاترة عبد المنعم الشافعي وأحمد عبادة سرحان وحسن حسين وخطاب محمد حسنين .



ورود جميلة في إحدى حدائق المنطقة الشرقية